روايات تيوليب للجيب
(١) حقيقة حب
رباب فؤاد

روايات تيوليب، العدد الأول
حقيقة حب ... رباب فؤاد الشهاوي
الطبعة الأولى أبريل ٢٠١٤
الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٤
تصميم الغلاف : م. دعاء عبد اللطيف
تنسيق وتدقيق لغوي : رباب الشهاوي
المدير العام : رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠١٤/٨٤٣٥

سلسلة تيوليب عربية مائة في المائة ولا تشوبها شبهة الترجمة أو النقل. تصدر بشكل دوري عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع.

Alfouad_publishing@hotmail.com





روايات تيوليب للجيب

(١)

حقيقة حب

رباب فؤاد الشهاوي





إهداء

إلى الراحلين... ليتكم معي

إلى أمي وأخوتي... حفظكم الله

لي

(١)

ارتفعت طرقات مرتبكة على باب حجرة رئيس قسم الفيزياء الحيوية بكلية العلوم، فانتبه له هذا الأخير ورفع رأسه الأشيب عن الأوراق الموضوعة أمامه ليقول بوقار ولهجة قيادية ـ "أدخل."

وكأنما كان الطارق في انتظار الإذن بالدخول، إذ انفتح الباب في سرعة وظهرت خلفه حسناء في منتصف العشرينات من عمرها تخفي نصف وجهها خلف نظارة طبية ذات إطار عاجي عدلت من وضعه على أنفها وهي تقول بارتباك ـ"صباح الخير يا دكتور(عثمان).. أتسمح لي بقليل من وقتك؟"

ترك دكتور(عثمان) الأوراق من يده وهو يقول بثقة ــ "بالطبع يا دكتورة(سالي)."

شجعها ترحيبه على الدخول خاصة حين أشار إليها بالجلوس أمامه، فجلست وعينيها أرضاً، إلا أن عينيه اللماحتين لاحظتا من فورهما الدموع المتحجرة في مقلتيها فقال بهدوء حنون ـ "ما الذي ضايق تلميذتي النجيبة؟ أهي إحدى تجاربك؟"

رفعت وجهها إليه لتقول بصوت تخنقه الدموع ـ "ليتني لم

أكن نجيبة ولا متفوقة، وليتني لم أُعين معيدة وليتني .."
قاطعها بإشارة من يده قائلاً بانزعاج ـ "ما كل هذا؟ ما سبب هذا الإحباط؟"

أفلتت دمعة خبيثة من إحدى عينيها وهي تسأله بخفوت ـ"هل كنت تعلم يا سيدي أنني لن أحصل على منحة الدكتوراه؟"

تنهد الدكتور(عثمان) بأسى قائلاً ــ "علمت اليوم للأسف، رغم أنني فعلت كل ما بوسعي كي تحصلي عليها، ولكن قرار اللجنة نهائي. لا يوجد لديهم اعتماد مالي كافي لتغطية منحتك أنت وزملائك."

لم تستطع منع دموعها من الانهمار وهي تقول بخيبة أمل لا حد لهاــ "وما الحل؟ هل أفقد مستقبلي لعدم وجود اعتماد مالي كافي؟ ما دام الدعم للبعثات غير كاف لماذا لا يجهزون معاملنا بشكل أفضل؟ أليس ظلماً أن أفقد أنا وأكثر من عشرة معيدين بباقي أقسام الكلية بعثاتنا إلى انجلترا وباقي دول أوروبا؟"

تنهد الرجل ثانية وقلب كفيه قائلاً -"لقد جف حلقي وأنا أحاول أن أعرف أسباباً أكثر إقناعاً لإلغاء بعثاتكم، لكن كل ما يقولونه هو عدم وجود اعتماد مالي. صدقيني يا ابنتي لو

كنت أستطيع إرسالك على حسابي الخاص لفعلت، ولكنك تعلمين أن دكتور الجامعة أصبح من الفئات التي لا تحصل على حقوقها ولا يهتم أحد بتقديرها أدبياً أو مالياً، بل وتساوى مع زملائه ممن تخرجوا بأقل التقديرات. على الأقل هم يعملون وبكل بساطة يحصلون على رواتبهم دون أبحاث ودراسات كالتي نفعلها طوال الوقت، وليت رواتبنا تكفينا."
كفكفت دمعها واكتسب صوتها نبرة يأس وهي تسأله -"ما زلت أجهل الحل. هل أقدم استقالتي وأضحي بالماجستير التي واصلت في دراستها الليل بالنهار وأكتفي بأن أكون ربة بيت؟ لماذا أدرس؟ لقد انضممت إلى أسرة هذا القسم لرغبتي في أن أحرز تقدماً يخدم وطني، لكن يبدو أنه لا مكان لي بين علمائه."
هتف بها معترضاً- "كيف تقولين هذا؟ أنت من أفضل المعيدات هنا بالكلية وبإذن الله سيكون لك مستقبل مبهر. ربما لا نحصل الآن على ما نستحقه من تقدير، لكننا سنحصل عليه يوماً ما. يجب ألا تيأسي."
عادت نبرة اليأس إلى صوتها وهي تقول -"ومتى يأتي هذا اليوم؟ ولماذا نفتقد هذا التقدير من الأساس؟ من أحق به منا؟

أنعمل طوال الوقت كي نعيد لهذا الوطن أمجاده ليتجاهلنا؟"
ضحك باستهزاء قائلاً "حالياً، هناك فئتين تحصلان على كل التقدير."
عقدت حاجبيها متسائلة فأشار إلى جريدة مجاورة قائلاً -"الفنانون ولاعبو كرة القدم هما الفئتان الأكثر أهمية الآن، وحسبما أرى فأنت لا ينقصك الجمال ولا الرشاقة لتكوني نجمة سينما. وقتها فقط سيقدرونك."
اتسعت عيناها وهي تسأله باستنكار -"وماذا عن دراستي وهدفي و..."
قاطعها قائلاً بجدية أخافتها -"لو صرت نجمة سينما وأنهيت الدكتوراه في نفس الوقت ستكتب عنك جميع الصحف وربما تتعرض لرسالتك بالشرح والتحليل وتنالين شهرة فوق شهرتك، وربما صار هذا سبباً لمعرفة رجل الشارع العادي بالفيزياء الحيوية."
زفرت في إحباط ولم تفلح سخرية مشرفها في تخفيف ضيقها، بل على العكس زادت من إحساسها بعدم جدوى دراستها وقبل أن تنطق عبارة يائسة أخرى اندفع رجل إلى داخل الغرفة على حين غرة فانتفضت(سالي) في جلستها

وهتف به الدكتور(عثمان) قائلاً ـ"ما هذا يا دكتور(فكري)؟"
ثم أتبع في غيظ ـ" ألم أخبرك أكثر من مرة أن تطرق الباب قبل أن تفتحه؟"

أشاح(فكري) بذراعه في الهواء قائلاً ـ"دعك من هذه الرسميات، ثم أن الباب لم يكن مغلقاً. هل كنت تعلم بعدم وجود دعم كاف لبعثة(سالي)؟"

ولأول مرة لاحظ وجودها بالغرفة ولاحظ احمرار جفنيها فقال ليجيب سؤاله ـ"يبدو أنكم على علم بالخبر."

ثم تقدم ليجلس أمام(سالي) قبل أن يقول في غيظ ـ"أمعقول هذا؟ أيفقد أكثر من عشرة معيدين بعثاتهم ومستقبلهم لعدم وجود دعم مالي؟"

قلب الدكتور(عثمان) كفيه قائلاً ـ"وماذا عساي أن أفعل؟ لقد فعلت كل ما بوسعي لإلغاء هذا القرار. الحل الوحيد هو أن تواصل(سالي) دراستها هنا أو أن تسافر إلى انجلترا على نفقتها الخاصة."

هب الدكتور(فكري) من مقعده هاتفاً بانفعال ـ"أي عدل هذا؟ لا تعجب إذاً لو فقدت هذه الشابة كل انتماء لديها لهذا الوطن الذي لا يستطيع تحقيق حلمها."

ثم أردف في غيظ -"ولا تعجب أيضاً أننا لا نحظ بأي اهتمام ما دمنا لا ننتمي لطائفة الفنانين أو لاعبي كرة القدم."
ارتسمت ابتسامة جانبية على شفتي دكتور(عثمان) وتمتم قائلاً -"هذا ما كنت أقوله لـ(سالي) قبل اقتحامك المكتب، واقترحت عليها أن تعمل ممثلة."
أشاح الدكتور(فكري) بذراعه ثانية وقال وهو يدور في أرجاء الغرفة -"ليتني أستطيع لعب كرة القدم، كنت أضحيت مليونيراً. إن مكافأة الفوز لأقل لاعب تكفي للإنفاق على طالب بعثة لمدة ستة أشهر على الأقل. أتعلم، لو أنهم ألغوا الفريق القومي لكرة القدم ووزعوا رواتب اللاعبين والمدرب الأجنبي على جامعات مصر ما تحججت لجنة البعثات بعدم وجود دعم مالي كافي."
تنهدت(سالي) في عمق وكلمات دكتور(فكري) تزيدها اختناقاً، وعادت الدموع تخنق صوتها وهي تغمغم بيأس -"ما زلت أجهل الحل. ماذا أفعل؟"
نهض الدكتور(عثمان) من خلف مكتبه قائلاً -"واصلي دراستك يا(سالي)، لقد توصلت لنتائج مبهرة في رسالة الماجستير، وبإمكانك أن تحققي نتائج أفضل منها في رسالة

الدكتوراه هنا. لقد أعطينا الغرب أساس حضارتهم وما زال بإمكاننا التفوق عليهم بأقل الإمكانيات. لا تيأسي يا ابنتي، وستنجحين بإذن الله."

أومأت برأسها في صمت وهي تنهض بدورها وتطلب الإذن بالانصراف.

****

(٢)

جلس مسترخياً على أريكة وثيرة يقرأ بتمعن ورقة ما أن أنهاها حتى طواها بعناية والتقط من جواره هاتفه المحمول وضرب أحد أزراره وانتظر حتى تناهى إلى مسامعه رنين يميز المكالمات الدولية وأتاه من الطرف الآخر صوت نسائي متلهف يقول في سرعة ـ"ألو..(باسم)!!"

ابتسم(باسم) واكتسى صوته بنبرة حنان وهو يقول ـ"نعم يا أمي..أنا(باسم).كيف حالكم جميعاً؟"

قالت أمه بنفس اللهفة ـ"الحمد لله، جميعنا بخير، كيف حالك أنت؟ هل وصلك خطابي؟"

اتسعت ابتسامته وهو يداعب الورقة المطوية إلى جواره وشاكسها قائلاً ـ"أنا بخير والحمد لله، وقد أنهيت قراءة خطابك للتو. وما زلت أجهل سبب إصرارك على إرسال الخطابات بالبريد الدولي بدلاً من البريد الاليكتروني الذي يصل في نفس لحظة إرساله. إنه القرن الحادي والعشرين يا أم (باسم)، وعهد ساعي البريد انتهى منذ زمن بعيد".

ضحكت بخفوت وتخيلها تشيح بكفها كالعادة وهي تجيبه بلهجتها المحببة ـ"تركت لك البريد الاليكتروني وتقنية القرن

الحادي والعشرين. أنا انتمي للعهد البائد واعشق رائحة الحبر على الأوراق. لذا لا تتوقع مني أن أستبدل عاداتي بسهولة. يكفيك أنني أحادثك عبر الانترنت بالصوت والصورة كما تريد. أما الرسائل الورقية فهي تخصصي ولن أتنازل عنه".

ثم ما لبثت أن قالت في سرعة -"أيها المشاكس..لقد استدرجتني في الحديث بعيداً عن موضوعنا الأساسي. هيا اخبرني ما رأيك فيما قرأت؟"

ضحك على تأنيبها الذي اشتاق إليه قبل أن يجيبها في حيرة -"صدقيني يا أمي لقد فاجأتني بما جاء في الخطاب. حينما استسلمت لإلحاحك أخيراً كي أختار زوجة لي، لم أتخيل أن لديك هذا العدد من المرشحات، وكأن فتيات مصر ينتظرن (باسم نعمان) ليختار من بينهن من تحمل اسمه".

قالت في فخر بدا واضحاً في صوتها -"بالطبع ينتظرن إشارة من إصبعك حبيبي.. يالسعد المحظوظة التي ستقبل بها زوجة لك".

ضحك ثانية وهو يجيبها -"لا تبالغي يا حبيبتي.. أشعر وكأنني قرد في عين أمه".

هتفت باستنكار ـ"بل ابني هو أفضل غزال".
ثم أردفت بحنان وهي تسمع ضحكته الصافية ـ" أسعدك الله يا حبيبي وحفظك لي. هيا قل ما رأيك؟"
أجابها في خبث ـ"حسبما أتذكر فكلهن جميلات وذوات أصل طيب. أيهن تفضلين أنت؟"
هزت الأم كتفيها قائلة ـ"سيان بالنسبة لي. المهم من يرتاح إليها قلبك أنت."
جاهد لتبدو لهجته حيادية وهو يتظاهر بالتفكير للحظات قبل أن يقول ـــ "لقد فوجئت بك ترشحين (سالي) ابنة عمي(محمود)؟ ألم تتزوج بعد؟"
أجابته في ثقة ـ "ليس بعد، لقد حصلت على الماجستير منذ فترة وتستعد للدكتوراه. ربما كانت مناسبة لك إذا حصلت على بعثتها المنتظرة في انجلترا."
غزت الدهشة صوته حقاً هذه المرة وهو يسألها ـ "أمازالت مصرة على نيل الدكتوراه؟ عجيب جداً أمر هذه الفتاة. لقد اقتربت للغاية من تحقيق حلم طفولتها."
سألته أمه في لهفة ـ"أهي إذاً عروسك المنتظرة؟"
أجابها في سرعة ـ"ليس بعد، دعيني أفكر قليلاً وسأهاتفك

ثانية لأخبرك برأيي النهائي".

ثم أردف موضحاً -"على أي حال سأعود للقاهرة بعد نحو أسبوعين أو ثلاثة بإذن الله، وحينها سأكون أمعنت التفكير."

قالت أمه تنهي الاتصال بحنان صادق -"بسلامة الله يا حبيبي. سيفرح والدك كثيراً حينما أخبره بقرب وصولك."

أنهى اتصاله مع أمه ليغمض عينيه ويشرد بذهنه بعيداً، أيام كان طفلاً صغيراً يلعب مع أبناء صديق والده الحميم. كانت(سالي) الابنة الصغرى وكانت دوماً تشاكسه بقولها إن مستواه العلمي لا يرقى لمستواها.

رغماً عنه ضحك وهو يتذكر شكلها وهي ما زالت في المرحلة الابتدائية وترتدي نظارة طبية بلا داعي، وتقص شعرها الكستنائي الناعم مثل الأولاد بحجة أنها لا تريد تضييع وقتها في العناية به، وتتحدث طوال الوقت عن أينشتين والنظرية النسبية. كان كلامها يفوق سنها ولذلك كان يحب مشاكستها هو الآخر. كانت على طرفي نقيض من شقيقها الأكبر وصديق طفولته(مهند) وشقيقتها الكبرى(نهاد). بالنسبة إليه كان(مهند)و(نهاد) ينتميان إلى فئة الأطفال الطبيعيين، أما(سالي) فكانت غير طبيعية على

الإطلاق، ومع ذلك كان يذهب إلى بيتهم لا لشيء إلا ليستمتع بروئيتها ومشاكستها.

تفرقت السبل به وبشقيقها في الجامعة، لكن الأنشطة الطلابية جمعتهما كثيراً وظلت صداقتهما مستمرة بعيداً عن الزيارات الأسرية. لذا انقطع عن رؤية المشاكسة الصغيرة كما كان يدعوها لسنوات طويلة انتقلت فيها من الطفولة إلى الأنوثة المكتملة التي ظلت تتفنن في كبتها. وحينما رآها بعد طول غياب في زفاف (مهند) لم يندهش كثيراً لرؤيتها.

فرغم ثقته في أنها لن تتغير كثيراً، ظل جزء خفي يمنيه بروئيتها في طلة خيالية كأميرة حالمة. لكنها كانت كما يعرفها دوماً بنظارتها الطبية وشعرها القصير ووجهها الخالي تقريباً من أي مساحيق تجميل، وقد بدت له مرغمة على ارتداء فستان سهرة أنيق وحذاء مرتفع كان دخيلاً على شخصيتها التي يعرفها جيداً. ومع ذلك كانت أجمل الفتيات في نظره.

يومها حاول الاقتراب منها كما يريد، ولكن فتيات سخيفات أحطن به بصرخات إعجاب أزعجته وهو يجدها ترميهن بنظرة هازئة وتدير وجهها إلى الاتجاه الآخر دون أن تكلف

نفسها عناء النظر إلى من تتحلق الفتيات حوله.
ترى ماذا ستقول حينما يتقدم لخطبتها؟ إنها لم تقتنع يوماً بلعبه كرة قدم في مراهقته، وطالما ظنتها هواية تافهة. أيعقل أن ترضى به زوجاً وقد أصبحت الكرة مهنته؟
ولم لا؟ إنه خريج جامعي مثلها ولديه مشروعه الخاص الذي يديره والده في القاهرة بالإضافة إلى عمله كلاعب كرة محترف، أي أنه لا ينقص عنها في شيء.
لكن أهم شيء هو هل ستتجاوب معه؟ هل ستبادله مشاعره التي يكنها لها منذ كانا صغاراً؟
العجيب أنه لم يفكر ولو للحظة واحدة في أي من الفتيات الأخريات المرشحات في خطاب أمه، فما أن رأى اسم (سالي) حتى استيقظ بداخله الحب القديم الذي طالما أقض مضجعه وهو مراهق وظنه صار ذكرى.
ذكرى!!؟ كيف ذلك ووجهها لم ولن يغادر عينيه؟ إنه مازال محفوراً في ذاكرته: عيناها كانتا دوماً مصدر حيرته، ففي المرات القليلة التي اخترق فيها بصره نظارتها الطبية كان يرى عينيها مرة سوداء ومرة بنية حتى استقر رأيه أخيراً على أن لونهما بني داكن. أما شعرها فكان أفتح من لون

عينيها قليلاً وكان دوماً قصيراً وتتدلى خصلة متمردة منه على جبهتها فترفعها بعصبية كيلا تشتت انتباهها.

تذكر ابتسامتها الناعمة، فقد كان وجهها يشرق حين تبتسم وتزداد جمالاً فوق جمالها خاصة حين تزدان وجنتيها بغمازتين لطيفتين تعطيانها مظهراً بريئاً.

كان يحبها بكل خلجة من خلجاته إلا أنه لم يعترف يوماً بهذا الحب. واليوم فقط، حين قرأ خطاب أمه اكتشف أن المسمى الوحيد لمشاعره تجاه (سالي) هو الحب، ولكن خوفه من ردة فعلها كان مبعث تردده في إعلان هذا الحب.

وكعادته، نهض ليتوضأ ويصلي صلاة استخارة كي يهدأ بالاً ويستقر على الرأي الذي سيبلغه لأهله.

****

(٣)

دلفت إلى المنزل في ضيق بدا جلياً على ملامحها الرقيقة في مزيج عجيب، وألقت حقيبة يدها وحقيبة أوراقها وسلسلة المفاتيح على أول مقعد صادفها في تأفف، وقبل أن تجلس على المقعد المجاور فوجئت بابن شقيقتها الصغير يهرع إليها فاتحاً ذراعيه وعلى وجهه ابتسامة ترحيب واسعة وهو يتمتم باسمها بحروف متداخلة.

وبسرعة غريبة اختفى الضيق المرتسم على وجهها وهي تلتقط الصغير بين ذراعيها وترفعه عالياً قائلة

-"حبيبي(مرموري)، أوحشتني."

أتاها صوت شقيقتها من ناحية المطبخ يقول ــ "لقد أوحشته أنت أيضاً، فـ(مروان) لم يرك منذ أسبوع يا قاسية القلب."

اتجهت إلى شقيقتها تعانقها بحب قائلة ــ " حبيبتي (نهاد)..افتقدتك كثيراً أنت الأخرى، ولولا انشغالي في الكلية لأتيت إليكما. لماذا لم تحضري أنت؟"

خاطبت(نهاد) طفلها قائلة -"قل لآتو إن العمل أبعدنا عنها وإنك كنت مقيماً عند أهل والدك لأنك لم ترد إزعاجها."

قبلت(سالي) الصغير في شغف قائلة -"أزعجني كما تريد يا

سيد(مروان)، فأنت حبيبي الوحيد."
ربتت شقيقتها على كتفها قائلة بخبث -"حينما تتزوجين لن يصبح(مرموري) حبيبك الوحيد."
تنهدت(سالي) في عمق وهي تقول بإحباط ــ "يبدو أن مصيري سيكون الجلوس في المنزل في انتظار ابن الحلال، خاصة بعد ضياع البعثة."
تبادلت(نهاد) نظرة خبيثة مع أمها قبل أن تربت ثانية على كتف شقيقتها في إشفاق قائلة ــ "يا حبيبتي، كلنا تزوجنا واستطعنا التوفيق بين واجبات العمل والمنزل. وزواجك لن يمنعك من الاستمرار في أبحاثك. المهم في النهاية أن تري أطفالك حولك، أياً كان إزعاجهم".
همت(سالي) بالاعتراض حينما باغتها صوت أمها من المطبخ يقول ــ"استبدلي ملابسك سريعاً يا(سالي)، فقد أوشك الرجال على الوصول. هيا كي تساعديني أنا وأختك."
قلبت (سالي) شفتها السفلى في امتعاض وهي تتأفف قائلة -"ما الذي أتى بي من الكلية؟ صحبة معملي الحبيب أفضل مائة مرة من رائحة البصل والثوم التي تملأ ملابسي وشعري ما أن أدخل المطبخ."

لكزتها أمها في كتفها وهي تتهكم قائلة -" الآن لا تحبين المطبخ، وحينما ترين المائدة تنهالين على الطعام كمن يعاني المجاعة."

احتقن وجه (سالي) قليلاً وهي تضع الصغير في مقعد الأطفال الخاص، قبل أن يعود صوتها لنبرته الطفولية الشقية وهي تشير إلى رأسها قائلة - "العقل السليم في الجسم السليم."

دفعتها والدتها ثانية إلى المطبخ بصرامة وهي تكتم ضحكتها قائلة -" هيا أمامي وكفى ثرثرة... هذا ما تبرعين فيه..الثرثرة الفارغة".

****

(٤)

ارتفعت طرقات مميزة على باب غرفتها، لتقطع اندماجها مع حاسوبها وهي ترفع عينيها إلى الباب هاتفة بطفولية -"تفضلي يا أمي".

وكما توقعت، فُتح الباب لتظهر أمها خلفه وهي تدلف في هدوء إلى الغرفة متسائلة -"هل قطعت عملك؟"

هزت رأسها نفياً وهي تعتدل في مقعدها لتقول بابتسامة صافية -"كلا يا أمي..تفضلي".

جلست على الفراش لتواجه ابنتها وهي تسألها بشكل عارض -"هل من أخبار بشأن البعثة؟"

مطت شفتيها في إحباط وهي تجيبها -"للأسف لا جديد.. يبدو أن الموضوع انتهى بالفعل وسأضطر لاستكمال الدكتوراه هنا".

أومأت برأسها متفهمة قبل أن تقول باهتمام -"حسناً، أريد مناقشتك في أمر هام".

عقدت حاجبيها للحظات قبل أن تشاكس أمها هاتفة -"كنت أعلم أن هناك سبب ما خلف هذه الزيارة. فأم (مهند) لا تزور غرفتي المتواضعة إلا في حالات الط..".

بترت عبارتها وهي تلمح نظرة توعد صارمة في عيني أمها، فتداركت في سرعة ـ"كلي آذان صاغية يا أمي.. تفضلي".
تنهدت أمها في عمق قبل أن تقول بهدوء ـ" لقد تقدم عريس لخطبتك".
ضحكت بسخرية قائلة ـ"وماذا بعد؟ مصيره مثل من سب..".
قاطعتها أمها بهدوء ـ"لكنه ليس كمن سبقوه".
عقدت حاجبيها في حيرة وبدا العناد في صوتها وهي تقول في ثقة ـ"لا يوجد عريس لا يمكن رفضه."
قالت أمها بإصرار ـ"هذا العريس لا يمكن رفضه، وقد وافق والدك عليه بالفعل ولم يعترض".
عقدت(سالي) حاجبيها لبرهة ثم ما لبثت أن قالت بسخرية ـ"وأبي وافق ولم يعترض؟! والآن تخبريني كيلا أُصدم حينما أرى الزينات على بيتنا احتفالاً بزواجي كما القرون الماضية، أليس كذلك؟"
تنهدت أمها في عمق وهي تستغفر الله في سرها قبل أن توضح بهدوء ـ"والدك وافق على المبدأ لأن هذا الشخص أفضل ممن سبقوه. فهو من أسرة طيبة وابن حلال وأخلاقه ممتازة، والأهم أنك تعرفينه."

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي(سالي) وهي تقول -"لا أعتقد أنني أعرف شاباً بهذه المواصفات."

قالت أمها بإصرار -"بل تعرفينه، إنه(باسم) ابن عمك(نعمان)."

حاولت(سالي) تذكر الاسم قبل أن تقول فجأة -"(باسم)؟!(باسم) صديق أخي (مهند)؟"

أومأت الأم برأسها إيجاباً وقالت -"هو بعينه، محاسب محترم ولديه شركة استيراد وتصدير."

لم يبد على(سالي) الاقتناع بالجملة الأخيرة فسألت أمها بغتة -"ألم يكن(باسم) هذا لاعباً لكرة القدم؟"

بدا الحرج على وجه الأم بعد أن كشفت ابنتها ما حاولت إخفاؤه فقالت في سرعة -"بلى، وهو يلعب الآن في نادي مشهور بانجلترا."

رفعت(سالي) حاجبيها باندهاش مصطنع وقالت بصوت متهكم -"انجلترا؟! أخذوا أموال البعثة هنا وسافروا أيضاً لانجلترا؟! أماه... رأيي النهائي هو الرفض، لن أتزوج (باسم نعمان) أبداً."

****

(٥)

أغلق الدكتور(فكري) ملفاً يتضمن بضعة أوراق ووضعه أمامه على المكتب وهو يرفع رأسه ليواجه(سالي) وعينيها المترقبتين قائلاً بإعجاب -"رائع يا دكتورة (سالي)، بحث متميز حقاً وسيفيدك في المرحلة القادمة."

ارتسم الارتياح على ملامح(سالي) وعادت إليها بعضاً من ثقتها المهزوزة وهي تقول بابتسامة هادئة -"أشكرك يا دكتور(فكري)، لا تتصور كم أفادني ثناؤك هذا خاصة بعد..."

قاطعها بإشارة من يده قائلاً -"(سالي).. فقدانك للبعثة ليس نهاية المطاف. يمكنك نيل الدكتوراه هنا وبنفس الكفاءة. أنا متفهم بالطبع لمدى إحباطك لكنني أطمع في أن أشرف على رسالتك هنا وأن تحصلي عليها بامتياز مع مرتبة الشرف."

مطت شفتيها قائلة بضيق –"المشكلة لا تكمن في فقدان المنحة، لقد تقبلت الأمر ورضيت بقضاء الله عز وجل. المشكلة الحقيقية هي ضغوط أهلي لتزويجي."

رفع حاجبيه في دهشة وهتف باستنكار -"تزويجك؟! وتهملين مستقبلك العلمي؟ أي قول هذا؟!"

مطت شفتيها ثانية وقالت -"يقولون إن مصير أي فتاه هو

الزواج، وأنا لا أعترض على هذا، فبإمكاني التوفيق بين عملي وبيتي. اعتراضي مُنْصَب على الرجل الذي يرونه مناسباً لي، على وظيفته. تخيل يا دكتور..إنه لاعب كرة محترف في إنجلترا، هل رأيت المهزلة؟"

ابتسم في تهكم قائلاً -"وأنت لا تستطيعين السفر لاستكمال دراستك."

وصمت قليلاً ثم برقت عيناه فجأة بفكرة قالها بابتسامة جوفاء -"لو أردت رأيي اقبليه فوراً."

اتسعت عيناها في استنكار قائلة -"دكتور(فكري)!! ماذا تقول؟!!"

قلب كفيه قائلاً في بساطة -"ما سمعته. لقد أتتك الفرصة على طبق من فضة، أولاً العريس يعمل في إنجلترا وهذا يعني أنك ستسافرين إليه، وثانياً وهو الأهم أنه ينتمي للفئة التي اغتصبت حقك أنت وزملائك. تزوجيه وانتقمي لنفسك وخذي من أمواله لتنفقي على منحتك الخاصة."

عقدت حاجبيها مستنكرة وهي تقول -"لكنني لا أتزوج للانتقام يا دكتور. أنا أتزوج لأنه حقي كباقي الفتيات. أتزوج رجلاً يناسبني كي أقضي معه بقية عمري. الحقيقة يا سيدي

أنا لم أفكر في الأمر بنفس طريقتك على الإطلاق."

مط شفتيه قائلاً -"فكري كما يحلو لك ولكن بموضوعية. إذا كان أهلك يرونه مناسباً لك تزوجيه وسافري معه، ألا ترين أن الله عوضك عن البعثة بهذه الزيجة؟"

قالت بعدم اقتناع -"ولكنني لا أحبه."

قال بثقة -"نحن العلماء لا نحب سوى عملنا. أما الحب الذي تقصدينه، حب السينما والروايات فلا مكان له في عالمنا. عالمنا هو عالم الحقائق والوقائع فقط يا(سالي)."

وكانت تخشى أن يكون محقاً.

****

(٦)

أغلقت باب غرفتها القديمة خلفها واستدارت تواجه شقيقتها قائلة في غيظ ـ"أتسمحين بتفسير سبب رفضك لـ(باسم)؟"

جلست(سالي) على طرف فراشها لتجيبها في حيرة ـ"لا أحبه يا(نهاد)."

قلدتها شقيقتها في سخرية قائلة ــ"لا أحبه يا(نهاد)؟! أي عذر هذا؟! هل كنت أحب زوجي عندما تقدم لخطبتي؟ ألم أكن مترددة بين الرفض والقبول وتحججت بعملي؟ وما أن جلست معه مرتين حتى تقاربنا وأُعجبت به بل وأحببته بعدها، وها نحن الآن سعداء بالفعل. صدقيني سيتغير رأيك عندما تجلسين معه ثانية."

إلتوت ملامح وجه(سالي) وهي تقول ــ"أنت لم تعرفي (عبد الله) مسبقاً، أما أنا فأعرف(باسم) منذ كنا صغاراً ولم أحبه مطلقاً، على العكس كنت أراه دوماً ثقيل الظل."

هتفت(نهاد) باستنكار ـ"ثقيل الظل؟! والله أنت ثقيلة الظل. إن الابتسامة لا تفارق وجهه. إنه أظرف أصدقاء(مهند). يكفي أدبه وذوقه وتدينه وخفة دمه. لقد تهافتت الفتيات عليه يوم زفاف شقيقك وأحطن به كما تحيط الفراشات بمصدر

الضوء".
مطت شفتيها بسخرية وهي تتحدث بحنق -"ومن المفترض أن أسعد بالشاب الذي تحيط به الفتيات أينما ذهب. ما الذي قد يكون مشتركاً بين شاب لاه مثله وباحثة مثلي؟"
ضغطت (نهاد) فكيها في غيظ وهي تقول من بين أسنانها -" شاب لاهي؟ أهذا كل ما رأيته به؟ والله ما أدر سر تمسكه بك، لابد وأنه فقد عقله ليتزوج رجلاً مثله."
اعترضت(سالي) بتخاذل قائلة -"(نهاد)؟!"
جذبتها(نهاد) من يدها لتوقفها أمام المرآة قائلة -"بالله عليك أهذا مظهر آنسة محترمة في العشرينات من عمرها؟ زملاء(باسم) في الفريق شعرهم أطول من شعرك، ويهتمون به أكثر مما تهتمين أنت بدراستك."
خللت(سالي) شعرها بأصابعها قائلة في سرعة-"بذكر الشعر، لم أقصه منذ شهرين. ذكريني بأن أذهب لمصفف الشعر كي أقصه."
ضغطت(نهاد) فكيها ثانية حتى تألمت أسنانها وهي تهتف بغيظ -"ارحمني يا إلهي. ما من شك في أن(باسم) أصيب بلوثة عقلية كي يختارك زوجة له."

قالتها ولم تمنح شقيقتها فرصة للاعتراض إذ تابعت بلهجة المُدرسة مع تلميذتها الفاشلة قائلة ـ"غيري من مظهرك يا حبيبتي، غيري تصفيفة شعرك وغيري نظارتك هذه التي تعطيك عمراً يفوق عمرك الحقيقي. كوني على مستوى أناقته. وإذا كانت الفتيات يحطن به، فدورك أن تجعليه لا يرى سواك".

أشاحت(سالي) بوجهها بعيداً قائلة بامتعاض ـ"تتحدثين وكأنني أصبحت زوجته بالفعل. كيف أتزوج رجلاً عيناه عيني قِط؟"

رفعت(نهاد) حاجبيها في دهشة هاتفة ـ"أتسمين عينيه الرماديتين عيني قِط؟ لقد تمنيت أن يكون لـ(مروان) عينين كعيني(باسم) منذ رأيته في زفاف(مهند) وأنا حامل، وتقولين عيني قط؟ حقيقة أنا لست مقتنعة بأي من أسبابك الواهية تلك، فالرجل لا يعيبه شيء. أم أنك كنت تريدين رجلاً مثل دكتور(فكري)؟"

أجابتها في حدة ـ"وما عيب الدكتور(فكري)؟ لقد حصل على الدكتوراه قبل أن يكمل عامه الثامن والعشرين و..."

قاطعتها(نهاد) قائلةـ"ويرتدي نظارة طبية سميكة ويهمل

مظهره مثلما تهملين مظهرك تماماً. يا حبيبتي مثل هذا النوع من الرجال لا ينجح في زيجاته إن تزوج في الأساس. لو أردت نصيحتي فأنت بحاجة إلى رجل يحبك بالفعل. رجل مستعد لبذل قصارى جهده لإسعادك وليس لتنفيذ تجربة علمية جديدة. الرجال من نوعية(باسم) قادرون على إعطاء زوجاتهم الدفء والحنان الذي يحتجنه. أما نوعية الدكتور(فكري) فلا تقتنع بوجود ما يسمى بالحب. صدقيني يا حبيبتي، أنت بحاجة إلى رجل مثل(باسم)."

لم يبد على(سالي) الاقتناع بحديث شقيقتها التي ربتت على كتفها قائلة بحنان اخوي -"مصلحتك عندي أهم من أي شيء في الوجود، وعندما أحبذ لك الارتباط بـ(باسم) فهذا يرجع إلى أنه شاب حسن التربية. يكفي أنه وثق في ترشيح والدته لك رغم أن الفتيات يحطنه أينما ذهب، لكنه بحث عن الأصل الطيب. توضئي وصلي ركعتي استخارة وهي التي ستحدد القبول من الرفض."

قالتها وخرجت تاركة(سالي) تستلقي على فراشها في تكاسل وتستند برأسها على كفيها المعقودين لتحملق في سقف الحجرة وحركة المروحة الرتيبة.

دون أن تلحظ عادت بذاكرتها إلى لقاءها الأخير مع(باسم) الذي انتهى قبل ساعة واحدة. إنها لا تتذكر ملابسه بالضبط، ربما كان يرتدي قميصاً وسروالاً. أكان القميص طويل الكم أم قصير؟ لم تشغل بالها بتلك التفاصيل التافهة، إنها لم تنظر إليه بتمعن كي تستطيع التيقن. لقد جلست في أول الغرفة بينما كان هو جالساً في نهايتها. حتى حين تصافحا لم تلتق أعينهما. ربما تكون ملامحه تغيرت قليلاً، فهي لم تره منذ زفاف شقيقها قبل عامين. لقد لاحظت نحول وجهه قليلاً، ربما من المجهود الزائد في لعب الكرة، هكذا حدثها عقلها في سخرية. المهم أن ملامحه كما هي، نفس العينين الرماديتين ونفس الشعر الأسود الفاحم، نفس الوجه الوسيم والابتسامة اللطيفة. ابتسامته الآن لطيفة لكنها لم تكن قبل ذلك. التغير الواضح هو أنه لم يشاكسها كالمعتاد، مؤكد أنه نضج عقلياً.
نضج عقلياً؟!! في سنه تلك حصل الدكتور(فكري) على الدكتوراه، وماذا أنجز هو؟ حصل على عقد احتراف بنادي إنجليزي!!! يا للبراعة.
ابتسمت في سخرية وهي تفكر.. من المؤكد أنه نضج بالفعل، وإلا لماذا خاطبها برقة وحنان حينما انتقلت لتجلس على

المقعد المجاور له؟ أم تراه يؤجل مشاكساته للزيارة القادمة؟
لقد أخبرها بصدق أنه فخور بما وصلت إليه من نجاح وأنه سيكون أكثر سعادة لو ساهم في إكماله.
ازدادت حيرتها وهي تقارن بين مشاحناتهما الماضية حينما كانا صغاراً ورقته وعذوبته منذ قليل...
أتراه بالفعل شخص جديد بأن ترتبط به طيلة سنواتها القادمة؟ أم أن نفورها منه حقيقي ولا علاج له؟
العجيب أنها لا تشعر بهذا النفور، ليس بعد أن جلست معه بالفعل وتجاذبا أطراف الحديث،
كل ما في الأمر هو أنها لا تستوعب بعد أن يقترن اسم الباحثة باسم لاعب كرة القدم، وهذا من حقها.
وأخيراً...امتثلت لنصيحة شقيقتها وقامت لتتوضأ.

****

(٧)

لا شك أن قرار الزواج كان أصعب قرار اتخذته في حياتها بعد تفكير عميق وتردد طويل.

فبينما كان قلبها يرفض مثل تلك الزيجة الخالية من المشاعر_من جانبها على الأقل_ كان عقلها هو المحرض الأساسي على إتمام الزيجة بعد أن بحث جدواها من جميع الاتجاهات.

ربما كان عقلها محقاً في تشجيعها على خطوة الاقتران ب(باسم)، لكن قلبها كان يريد أن يغرد بسعادة لاختيار ساكنه القادم، وهو ما لم يتحقق في حالة (باسم).

وكثيراً ما نهر عقلها قلبها على أحلامه الخاوية، مؤكداً أن الحب الذي لمحه يلمع في عيني (باسم) سيمنحها تلك السعادة التافهة التي تبحث عنها كالفتيات. أما السعادة الحقيقية التي تملأ أوصالها بالنشوة فهي تلك التي تشعر بها في معملها، والتي ستشعر بها في كل خلاياها حينما تبدأ دراستها في انجلترا بعد الزواج.

لذا، وافقت أخيراً على الخطبة بعد أن خضعت لعملية تغيير جذرية على يد(نهاد) شقيقتها ومصففة الشعر،

فقد غيرت تصفيفة شعرها تاركة إياه على طوله الجديد،
وسمحت بتفتيح بعض خصلاته لتعطيها مظهراً شقياً يخالف شخصيتها الجادة،
كما استجابت لإلحاح(نهاد) وغيرت نظارتها الطبية ذات الإطار العاجي إلى أخرى بدون إطار، بل وارتدت_ لأول مرة في حياتها_العدسات اللاصقة في حفل خطبتها.
وبعد عقد الزواج عاد(باسم) سريعاً إلى لندن لينهي معاملات عروسه الرسمية ويسهل التحاقها بالجامعة لاستكمال دراستها.
وأخيراً...
وفي الموعد المحدد تم الزفاف، وتألقت(سالي) إلى جوار(باسم) وكونا ثنائياً من أجمل وأوسم الأزواج، وقضيا ليلة زفاف رائعة.
ولأول مرة شعرت بالسعادة إلى جوار(باسم)،
فقد كان يحقق لها أقصى ما تمنته كفتاة طبيعية في ليلة زفافها، إن لم يكن أكثر.
وقفت إلى جانبه لتقطيع كعكة الزفاف، لترمقه بنظرة امتنان ودت لو تحمل كل عرفانها له في هذه اللحظة.

فالعرفان والامتنان كانا كل ما تملكه من مشاعر حتى الآن تجاه ذلك الوسيم الذي يجاورها.

أما بالنسبة ل(باسم)، فالأمر كان أشبه بحلم يتحول إلى حقيقة. ويالـه من حلم

فهاهي أصابعه تعانق أصابع حبيبة عمره التي أصبحت زوجته أمام الله والجميع.

لا يستطيع السيطرة على خفقات قلبه التي تكاد تفلت من صدره منذ رآها الليلة ترتدي الأبيض له، وتتألق كأميرة صغيرة تُزف إلى فارسها..تُزف إليه.

وكلما لمح لمعة عينيها أو ابتسامتها وغمازتيها شعر بالدماء ترقص طرباً داخل عروقه.

حتى كانت تلك النظرة التي دكت ما تبقى من حصونه، وهي ترمقه بنظرة امتنان أدهشته أثناء تقطيع كعكة الزفاف.

أتراها نظرة امتنان حقاً؟ أم أنها تعبر هكذا عن حبها؟

لم يشغل عقله بالتفسير وهو يحاول ألا يفوت لمحة من عروسه التي اندمجت مع الحفل بشكل لم يتوقعه،

المهم أنها معه...وله إلى الأبد.

****

(٨)

جلس على طرف الفراش يتأملها وهي تخلع طرحتها في هدوء قبل أن يسألها بابتسامة لطيفة -"هل راق لك الحفل؟"

ابتسمت في خجل وهي تستدير إليه قائلة بامتنان -"لقد كان رائعاً، أشكرك على كل ما فعلته من أجلي."

نهض إليها وتناول كفيها بين كفيه يلثمهما هامساً -"لقد كان هدفي إسعادك، والحمد لله أنني نجحت في ذلك."

تخضب وجهها في شدة إثر لمسته الدافئة وخفضته أرضاً في خجل زادها جاذبية فوضع أنامله تحت ذقنها ليرفع وجهها الخجول إليه ومال يطبع قبلة رقيقة على وجنتها.

ولدهشته فقد شعر بكفها تتحول فجأة إلى قالب من الثلج في راحته وهي ترتجف رغماً عنها وتبتعد بوجهها المحتقن عن وجهه.

اتسعت عيناه للحظات تقلصت فيها أمعاؤه وهو يشعر بالصدمة، إلا أنه ما لبث أن تماسك منتظراً تفسيرها لما حدث. ولم تضن عليه عروسه بهذا التفسير إذ قالت بتردد وخجل عميقين -"أعذرني يا(باسم)، أنا لم أعرف الحب يوماً، وزواجنا كان سريعاً. لذا سأحتاج بعض الوقت

حتى...".

بترت عبارتها بحرج وهي تعض شفتها السفلى ولا تدري بماذا تكملها.

أما هو، فبدا الارتياح على وجهه وعادت ابتسامته اللطيفة تنيره وهو يقول بهدوء -"وأنا لن أتعجلك. صراحتك هذه لا تزعجني، على العكس...إنها تسعدني. معنى أنك لم تعرفي الحب أنك على استعداد لمعرفته معي. أما لو قلت إن شخصاً آخراً _لا قدر الله_ في قلبك لتضاءلت فرصتي في الحصول عليه. مازال العمر طويلاً أمامنا حتى تتأكدي من مشاعرك نحوي. المهم هو أن تثقي في مشاعري أنا نحوك وفي أنني مستعد لفعل أي شيء من أجل إسعادك."

بدا عليها الحرج لأنها أحبطته إلا أنه قال في مرح ليغير دفة الحوار -"لا بد وأنك مرهقة مثلي، فأنا لم أنم منذ البارحة وسأسقط نائماً بعد قليل".

أومأت برأسها في صمت فتنحنح متابعاً -"أعتقد أن الفراش متسع بما يكفي ليسعنا معاً و...".

بتر هو عبارته هذه المرة وهو يلمح احتقان وجهها المتزايد، فأتبع بلهجة مرحة -"سأستبدل ملابسي في الغرفة الأخرى.

كوني على راحتك".

وجدت صوتها أخيراً لتقول بصوت متحشرج -"حسناً. شكراً لتفهمك".

ابتسم ثانية ولمعت عيناه بقوة وهو يتأملها مرة أخرى قبل أن يهمس -"لا داعي للشكر. ولا تنسِ أننا سنستيقظ مبكراً من أجل موعد طائرة الغردقة. اتفقنا؟"

منحته ابتسامة عذبة خلبت لبه وهي تجيبه قائلة -"اتفقنا."

وفي أعماقها بدأ(باسم) يحتل مكانة أرفع من ذي قبل.

****

(٩)

أوقف سيارته الرياضية ذات السقف المتحرك أمام منزلـه فـي لندن وأشار إليـه قـائلاً لزوجتـه -"هذا هو عشنا الهادئ. ما رأيك؟"

نظرت من خلال زجاج السيارة الأمامي إلـى البيت تتأملـه فـي شغف.

كان بيتاً صغيراً أنيقاً لا يختلف كثيراً عن البيوت المحيطـة بـه ويتميز بالطابع الإنجليزي الراقي، يرتفع في طابقين يظللهما أسقف مائلة ذات منظر جذاب وتحيط به حديقة صغيرة منمقة داخل سور خشبي أبيض.

بهرها جمال المنزل فهمست باعجاب -"ما شاء الله لا قوة إلا بالله...إنه رائع."

رمقها بنظرة هائمة وهو يهمس هو الآخر قائلاً -"وسيزداد روعة حينما تسكنينه."

تخضب وجهها في سرعة كعادتها فقال ليغير الحوار -"أرجو أن يروقك من الداخل أيضاً."

قالها ودار بالسيارة ليدخلها المرأب الذي فتح بابه بجهاز تحكم عن بعد قبل أن يخرج كلاهما منها ليتجها سوياً إلى

المنزل. وفي خبث شاكسها قائلاً -"يقولون هنا إنه فأل سيء إذا لم أحملك أول مرة تدخلين فيها المنزل."

التفتت إليه في حركة سريعة وهي تقول في حرج -"عندنا الفأل السيئ هو ألا تدخل المنزل بقدمك اليمنى."

هز كتفيه قائلاً بالإنجليزية -"عندما تكون في روما، افعل ما يفعله الرومان."

تراجعت في حدة والخجل يملؤها وعلى وجهها حرج بالغ فضحك قائلاً -"(سالي)!! سيبدأ الجيران في مراقبتنا وسيتساءلون لماذا لم أحملك، وفري علينا هذا الإحراج."

أغمضت عينيها واستكانت راحتيها على كتفيه بأريحية وهي تتركه يحملها بين ذراعيه في سهولة_ بعد أن فتح الباب_ ويدخل بها البيت بقدمه اليمنى قبل أن يقول بارتياح -"افتحي عينيك الآن يا أميرتي، أنت في منزلك..أقصد مملكتك."

فتحت عينيها وذراعاها ما زالا حول رقبته ودارت ببصرها سريعاً في الردهة وحجرة الاستقبال، ثم رفعت رأسها لتتأمل الدرج المؤدي للطابق العلوي قبل أن تعود بوجهها إلى وجهه قائلة بانبهار -"ما شاء الله، لا أصدق أن هذا بيتنا."

رفع حاجبيه في دهشة وهو يتأمل ملامحها الجميلة والسعادة

بادية على وجهها قائلاً ـ"بيتنا؟! لأول مرة تجمعيني معك في ملكية شيء."

تاهت في عينيه قائلة-"لا بد من الجمع، بيتنا وحياتنا و..".

قاطعها هامساً-"وحبنا."

ازداد خجلها ففكت ذراعيها من حول عنقه لتنزل، وسارت أمامه تتأمل الردهة وأثاثها بتمعن، بينما راقبها بعينين باسمتين في صمت وهي تتنقل من ركن إلى ركن في خفة قبل أن تستدير إليه قائلة -"ذوقك راقي جداً، لا داعي لتغيير أي من الأثاث."

اتسعت ابتسامته وهو يقول -"لم أغير سوى أثاث حجرة النوم، بمعنى آخر أصبح لدينا حجرتين، من أجل حالات الطوارئ لا قدر الله."

ضحكت بخفوت فتابع مشيراً إلى حقيبتي سفر كبيرتين -"سأحمل الحقائب التي أحضرها(بشير) إلى غرفتنا بأعلى ثم آخذ حماماً دافئاً، فعضلاتي كلها متيبسة من القيادة."

أومأت برأسها قائلة -"وسأواصل جولتي في المنزل."

أرسل إليها قبلة في الهواء وهو يحمل الحقائب متجهاً إلى الطابق العلوي، وواصلت هي تجولها حتى وصلت للمطبخ

فدارت بعينيها في أرجائه.
كـان المطـبخ واسـعاً تتوسـطه طاولـة تتسـع لأربعـة أفـراد، جلست على أحد مقاعدها لثوان قبل أن تنهض متجهة إلى بـاب المطـبخ المـؤدي إلـى الحديقـة الخلفيـة التـي تأملتهـا للحظات، ثم ما لبثت أن استدارت إلى أحد الأركان حيث كان المبرد قابعاً.
وبحركـة غريزيـة اتجهت إليـه وفتحتـه، ولدهشـتها فقد كـان الطعام مصفوفاً بداخلـه في نظام، ممـا أثـار الفضول بـداخلها
-"ترى من أين أتى هذا الطعام؟"
لم تدر كم من الوقت مضى وهي تنتقل بين أرجاء المنزل في خفـة كالفراشـات، إلـى أن حطـت رحالهـا أخيـراً فـي غرفـة نومهما بالطابق العلوي، والتي دلفت إليها في حذر.
كانت جديدة كما قال(باسم)، حتى لكادت تشم رائحة طلاء الأثاث، وكان ذوقها رفيعاً كباقي أثاث المنزل.
لفـت انتباههـا الحمـام الملحـق بالغرفـة حينمـا تنـاهى إلـى مسـامعها صـوت تـدفق الميـاه بداخلـه، وللحظـة شـعرت بالإشفاق علي (باسم) المنهك من القيادة لفترة طويلة..لابد وأنه بحاجة إلى حمام دافئ لتفكيك عضلاته المتصلبة.

هي الأخرى كانت بحاجة إلى حمام مماثل للتخلص من أتربة الرحلة في سيارة رياضية مكشوفة.

وفي هدوء اقتربت من طاولة الزينة والتقطت فرشاة لتمشط بها شعرها وتعيد تنظيمه بعد أن أفسده هواء الطريق.

طال غياب (باسم) في الحمام، فملت الجلوس وحيدة في الغرفة وفكرت أن تخرج لترى الغرفة الأخرى، غرفة الطوارئ.

ترى كيف تبدو؟!

كيف كان يعيش قبل زواجهما؟!

أثارتها الفكرة فاتجهت صوب الباب، وما كادت تستدير حتى فوجئت بـ(باسم) أمامها في رداء الحمام مغطياً رأسه بمنشفة يجفف بها شعره المبلل فارتطمت به وانطلقت من حلقها شهقة ذعر أفزعته فأزاح المنشفة عن وجهه في سرعة ليراها شاحبة الوجه، باردة الأطراف. وفي إشفاق حنون ربت على وجنتيها قائلاً -"لا تخافي يا حبيبتي، أنا(باسم)."

دفنت وجهها في كتفه وجسدها يرتجف رغماً عنها، فاحتواها في حنان وهمس في أذنيها مطمئناً -"لم أقصد إخافتك، صدقيني."

ارتبكت حين شعرت بقربها منه إلى هذه الدرجة، فتمالكت نفسها وهي تبتعد عنه في رفق وتزيح خصلة من شعرها خلف أذنها قائلة بحرج ـ"آسفة، لقد بالغت في ردة فعلي."

رفع حاجبيه في دهشة ثم ما لبث أن قال بإحباط ـ"آه، لا عليك. هل راقك المنزل؟"

ولم يهتم بمعرفة إجابتها، إذ دلف إلى الغرفة وهو يواصل تجفيف شعره بالمنشفة، ولم يندهش حينما نظر في المرآة ولم ير انعكاس صورتها فيها. كان من الواضح أنها خرجت من الغرفة.

****

(١٠)

أكمل ارتداء ملابسه وهبط إلى الطابق السفلي ليجدها جالسة على مقعد وثير فتنحنح حتى لا تفزع ثانية قبل أن يسألها في هدوء ـ"هل أعد لك القهوة معي؟"

قفزت من مقعدها في سرعة قائلة بحماس بدا غريباً عليها ـ"سأعدها معك. بالمناسبة، ما هذه الأطعمة في المبرد؟ هل انتهت صلاحيتها؟"

عاد إلى طبيعته الحنون وثنى ذراعه لتتأبطها وهو يجيبها بابتسامة لطيفةـ"كلا، إنها جديدة. لقد أحضرها(بشير) أمس."

صحبته إلى المطبخ ووقفت تراقبه وهو يعد آلة القهوة ثم اتجهت إلى دولاب الأواني وفتحته لتُخرج قدحين وضعتهما على المائدة وجلست مستندة بذقنها على راحتها قائلة باهتمام ـ"أخبرني كيف تعارفت أنت و(بشير)."

التفت إليها ورفع حاجبيه في دهشة حينما لمح الأقداح، فرفعت كتفيها قائلة بابتسامة مرحة ـ"لا تنس أن المطبخ مملكتي، ولا بد أن أعرف كل شيء فيه."

منحها ابتسامة حنون ثم قال ـ"لقد تعارفنا حينما انتقلت

للإقامة هنا. (بشير) يعشق كرة القدم، وعندما علم أن(باسم نعمان) جاره أتى للترحيب بي في المنطقة وأخبرني أنه مهندس كمبيوتر مغربي وقدم لي زوجته(مليحة). إنهما ثنائي لطيف للغاية، وصرنا أصدقاء في سرعة. وجودهم معي يشعرني بأنني لست بعيداً عن وطني، ربما بسبب اللغة."

وافقته بإيماءة من رأسها قائلة بحماس -"لقد أحببت(مليحة) منذ رأيتها في المطار. لقد رحبت بي وكأنها تعرفني من زمن."

هز كتفيه قائلاً ببساطة-"إنها تعرفك بالفعل منذ خطبتنا، وتعرف جميع أفراد أسرتي مثلما أعرف جميع أفراد أسرتهم. صداقتنا تعدت حدود الجيرة بمراحل، وإلا ما تركت لهم مفتاح البيت والسيارة في غيابي. لقد أتى(بشير) بسيارتي إلينا في المطار وقادت(مليحة) سيارتهم، ثم أخذا حقيبتي ملابسنا الكبيرتين وأحضراهما إلى هنا، ورتبا المنزل والمبرد. إننا تقريباً أسرة واحدة."

أومأت برأسها متفهمة فتابع قائلاً –"ومفاتيح منزلهم وسيارتهم معي أيضاً، لحالات الطوارئ، فقد أنسى مفاتيحي

في أي وقت أو قد ينسى(بشير) مفاتيحه. لقد تركوا البيت في عهدتي أيضاً عندما سافرا لقضاء أجازتهما السنوية."

أشارت إلى المبرد قائلة -"وهل وضعت طعاماً لهم؟"

عدل ياقة قميصه بحركة مسرحية مصطنعة قائلاً -"بالطبع يا حبيبتي.. زوجك هنا خليفة(حاتم الطائي)."

همت بمشاكسته حينما ارتفع أزيز آلة القهوة فأجفلت بقوة، لكنها ضحكت في مرح للنظرة التي ارتسمت على وجهه واتجهت لتصب القهوة وسمعته يقول -"(مليحة) ما زالت في عملها، بعد أن نشرب القهوة حاولي الاسترخاء قليلاً لأنهما سيأتيان لزيارتنا في المساء، اتفقي معها على موعد مناسب لتذهبا سوياً إلى الجامعة."

تغيرت ملامحها وهي تسأله بضيق -"ألن تأت معنا؟"

هز كتفيه قائلاً -"لا أعلم بعد. (مليحة) تعمل معك في الجامعة وستكون غالباً رفيقتك في رحلتي الذهاب والعودة اليومية. إنها باحثة في علم النفس إلا أنها تعمل في نفس المكان."

ارتشفت قليلاً من القهوة الساخنة التي لسعت حلقها ولم تنبس ببنت شفة، فأقترب بوجهه من وجهها قائلاً في خبث -"هل ستفتقدينني؟"

هزت رأسها نفياً واهتز معه شعرها ليتبعثر حول وجهها بشكل مثير فعقد حاجبيه وهو ينظر إليها في ضيق فقالت بخبث هي الأخرى ـ"كيف أفتقدك وصورتك إلى جوار الفراش وفي الردهة والمكتبة والجوال، والأهم...اسمك حول بنصري. لا تقلق، لن أفتقدك."

رفع أحد حاجبيه ووضع كفه في خاصرته قائلاً بعجرفة مصطنعة ـ"أنا أيضاً لن أفتقدك."

رمقته بنظرة نارية مفتعلة جعلت ابتسامته تتحول إلى ضحكة صافية وهو يتأمل عينيها هامساً ـ"كيف أفتقدك وصورتك محفورة داخل قلبي؟ سأقبل دبلة زواجنا كلما تذكرتك وأتخيلها أنت."

تضرج وجهها خجلاً فتابع مغيراً دفة الحوار قائلاً ـ"بالمناسبة، لقد فتحت لك حساباً جارياً بالبنك به عشرون ألف جنيه إسترليني مبدئياً كي تنفقي منه على أبحاثك، وقبل أن ينتهوا سأضع لك مثلهم."

تقلصت عضلات معدتها فجأة وشعرت بحرج بالغ وهي تسمعه، إذ تذكرت فجأة قول أستاذها (فكري). شعرت لحظتها بدناءة موقفها مقابل نبل أخلاقه،

ألم تتزوجه من أجل ذلك؟

وها هو يعطيها من ماله بكل بساطة لأنه يحبها حقاً ويريد نجاحها!!!.

وللحظة ثارت كرامتها وحدثتها نفسها مدافعة 'لقد تزوجته لأنه أنسب لي من غيره، ولأنني من حقي أن أتزوج. صحيح أنا لا أحبه الآن، لكني لم أعرف الحب من قبل، وربما كنت أحبه دون أن أدري'.

طال صمتها مما أثار قلق(باسم) الذي سألها -"فيم تفكرين يا حبيبتي؟"

تنهدت في عمق قائلة -"لا شيء."

ثم ابتسمت متابعة -"لقد تذكرت فجأة أننا لم نحظ بالراحة طيلة الأسبوعين الماضيين، ما بين تجهيزات الزفاف ثم رحلتنا إلى الغردقة ومنها إلى دوفر، وها نحن الآن أخيراً في بيتنا. أتمنى أن يكون الفراش هنا مريحاً لأنني مرهقة للغاية."

****

(١١)

أوقف سيارته أمام بوابة الحرم الجامعي الخارجية وتنهد في عمق قبل أن يستدير إلى(سالي) الجالسة إلى جواره قائلاً بأسف -"كان بودي أن أصحبك للداخل، ولكنني تأخرت عن موعدي بالمعسكر."

ابتسمت قائلة بهدوء -"لا تقلق،(مليحة) معي وسيأتي(بشير) لاصطحابنا للمنزل. اعتن أنت بنفسك."

جاب ملامحها بعينيه في حب وتناول كفيها بين كفيه هامساً -"سأتصل بك كل مساء كما اتفقنا، وسأنتظرك يوم المباراة؛ وجودك ضروري جداً بالنسبة لي. التذاكر..."

قاطعته قائلة بابتسامة واسعة -"التذاكر إلى جوار التلفاز في غرفة المعيشة والمباراة بعد خمسة عشر يوماً وأربع ساعات؛ لا تقلق يا(باسم)، سأحضرها إن شاء الله."

قبل كفيها في حنان قائلاً في وله -"سأفتقدك."

داعبت بنصره الأيسر والدبلة حوله قائلة -"تذكر أن اسمي محيط بإصبعك وأن صورتك معي. هيا، ستتأخر عن موعدك."

كان أهون عليه أن يخلع ضرساً ولا يتركها، إلا أنه تماسك

وهو يقبل جبهتها قائلاً بصوت مبحوح -"لا إله إلا الله."
رفعت عينيها إليه وهيئ إليها للحظات أن دمعتين تحجرتا في مقلتيه وأنهما ستفران في أية لحظة فقالت في سرعة وهي تسحب كفيها من كفيه ـ"محمد رسول الله. احترس في القيادة."
قالتها وخرجت في سرعة من السيارة وتبعتها(مليحة) التي كانت تجلس في المقعد الخلفي وتتابع المشهد الذي لم يرق لها في صمت، واكتفت بنظرات عاتبة فهمتها الأخرى سريعاً.
لكنها لوحت بكفها لزوجها الذي انطلق بالسيارة مبتعداً قبل أن تلتفت إلى(مليحة) قائلة في خجل -"كيف أعانقه على الملأ؟"
رفعت(مليحة) حاجبيها في دهشة ـ"الملأ؟! لقد كنتما في السيارة، ثم إنك في لندن يا حبيبتي ولست في القاهرة."
قالت(سالي) بإصرارـ"ولكنني ما زلت شرقية، وتقاليدنا لا تسمح بذلك."
هزت(مليحة) كتفيها بلا مبالاة قائلة ـ"هذا شأنكما، هيا بنا إلى العمل."

****

(١٢)

خواء غريب اكتنفها بمجرد أن وطأت قدماها باب المنزل في ذلك اليوم. شعرت بالبرودة تسكن المنزل في غيابه، وأدهشها ذلك الشعور للغاية.

كيف استطاع أن يترك هذا الفراغ في حياتها، وهو الذي حل عليها قبل شهر واحد فقط؟

نهرت قلبها حينما همس على استحياء بأن الحب ربما طرق بابه أخيراً

لكنها لم تقتنع..ليس لرفضها الحب، وإنما لأن ذلك الجانب الخفي بداخلها مازال يؤنبها على قبولها الزواج بشخص ليساعدها في إتمام دراستها.

لكن هذا لا ينفي أن البيت يبدو موحشاً بدونه.. بدون ضحكته الصافية ومشاكساته التي أصبحت تنتظرها الآن.

واعترفت لنفسها باستسلام أنها تشعر بالوحدة في غيابه.

لكن (مليحة) لم تتركها كثيراً لهذه الوحدة.

كانت(مليحة) اسماً على مسمى، فملامحها الشرقية كانت ممتزجة بالجمال الأسباني الغجري وواضحة في عينيها النجلاوين شديدتي السواد وقامتها الطويلة الرشيقة وشعرها

الفاحم الطويل الذي تجعده هي بنفسها لتبدو غجرية في ثياب مدنيـة. إلا أنهـا علـى أيـة حـال كانـت جميلـة، والأهـم أنهـا و(سالي) صارتا صديقتين منذ أول لقاء، عربيتان في لندن جمعت بينهما اللغة والغربة والجيرة والعمل.

ومـرت أربعـة عشـر يومـاً قضتها(سـالي) فـي بحـث دءوب وعمـل تشـاغلت بـه حتـى بهـرت مشـرفها الجديـد بنشـاطها وهمتها.

وخلال تلك المدة، داوم (باسم) على الاتصال بها كل ليلة حتى كانت ليلة المباراة، ليلتها لم يطل الحديث لأن المدرب أمره لاعبيه بالنوم مبكراً، فأنهى اتصاله بزوجته في سرعة.

ليلتها ازداد شعورها بالوحشة ومدى افتقادها له، وربمـا كـان هذا السر وراء تركها حاسوبها في حجرة المكتب واتجاهها إلى المطبخ لتطهو أنواع الطعام التي يحبها. كانت لأول مرة تطهو شيئاً من أجله، شيئاً تتحرق شوقاً لمعرفة رأيه فيه.

فـي صباح يوم المبـاراة أنهـت عملهـا فـي الجامعـة سـريعاً ووقفت مع(مليحـة) أمـام البـاب الخـارجي فـي انتظـار(بشـير)

ليصحبهما إلى الملعب.
وهناك ركزت كل اهتمامها على اللاعب رقم ١٠ في الفانلة الحمراء والشورت الأبيض. تابعته بعينيها وهو يحاور ويناور وينجح في الإفلات من لاعبي الفريق الخصم وتعانق كرته الشبكة، ولدهشتها فقد وجدت نفسها تقفز من مقعدها مهللة مثلما فعل بقية مشجعي النادي رغم أنها تشاهد هذه اللعبة لأول مرة في حياتها.
ولأول مرة شعرت بالزهو حينما سمعت كلمات الإعجاب والإطراء تنهال على(باسم) من حولها. لحظتها ودت لو هتفت بينهم قائلة إنها زوجته، وإنه حينما قبل بنصره والدبلة حوله كان يقبلها هي؛ إلا أن خجلها منعها فاكتفت بمراقبته من موضعها والتلويح له بكفها في سعادة وكأنه سيراها.
وتكرر المشهد مرة أخرى بعدها بدقائق حتى صار مشجعو الفريق أشبه بثيران هائجة من السعادة وهم يتصايحون باسم(باسم). كل هذا زادها سعادة. لقد تزوجت من رجل ناجح ومحبوب أياً كان مجال عمله، والمهم أنه رغم شهرته لا يحب سواها.

قبل انتهاء المباراة بدقائق نبهها (بشير) كي تستعد لاستقبال (باسم) في غرفة الملابس. تبعته هي و(مليحة) في سرعة وسط الزحام حتى غرفة الملابس، ولم يسمح لهم الحارس بالاقتراب إلا عندما قالت(سالي) في ثقة-"أنا زوجته."

حينها فقط سمح لها بالانتظار بالقرب من الغرفة.

وأخيراً انتهت المباراة وتوافد اللاعبون ما بين مكتئب ومبتهج وهي تبحث بعينيها عنه، عن الرجل الذي قالت عنه بثقة 'أنا زوجته'.

ولم يطل انتظارها، فمن بعيد تعلق بصرها به وهو يقترب محادثاً زميلاً له حتى التفت في اتجاهها والتقت أعينهما.

لحظتها اختفت كل الأصوات وأضواء الكاميرات المحيطة بهما وشعرا كما لو كانا وحيدين في هذا المكان؛ فقط هو وهي.

ابتسمت له وابتسم لها تاركاً زميله ليتجه إليها في خطوات أقرب للعدو ماداً ذراعيه إليها.

هي الأخرى كادت ترتمي بين ذراعيه إلا أنها مدت ذراعيها عن آخرهما لتلتقي أكفهما وعيناها معلقتين بعينيه قبل أن تهمس -"مبروك."

تمالك أعصابه وهو يكاد يلتهم ملامحها بعينيه في شوق، وأسند جبهته إلى جبهتها هامساً ـ"ما أجمل أن يقترن وجهك الحسن بالفوز. أنت ملهمتي."
قالها وهو يقبل كفيها قبل أن يهمس قائلاً ـ"أحبك يا تعويذتي السحرية."
تخضب وجهها خجلاً وهي تسمعه يصرح لها بحبه على الملأ فخفضته أرضاً في اللحظة التي انتبه فيها (باسم) لـ(بشير) وزوجته فصافحهما في حرارة و تقبل تهانيهما بابتسامة واسعة قبل أن يهم بدخول غرفة الملابس، حينما استوقفه زميله الذي كان برفقته قائلاً بود ـ"ألن تعرفني على أصدقائك؟"
رفع(باسم) حاجبيه للحظة ثم ما لبث أن قال في سرعة ـ"أوه..(مايك).. هذه زوجتي دكتور(سالي)، وهذا صديقي المهندس(بشير) وزوجته دكتور(مليحة)."
صافحهم(مايك) بود ظاهر وهو يقول لـ(سالي) ـ"تهانئي القلبية يا سيدتي، لا بد وأنك أنت السبب وراء تألقه اليوم. بالمناسبة، سنقيم احتفالاً اليوم. ألن تأتوا؟"
ابتسم(باسم) في حرج قائلاًـ"لا أعتقد ذلك..سأعود للمنزل مع

زوجتي."

أصر(مايك) قائلاً بابتسامة ودود تملأ عينيه الزرقاوين ـ"مستحيل، سنحتفل بزواجك أنت ودكتور(سالي). لابد وأن تحضرا، على الأقل لتتعرف زوجتك على زوجاتنا، أقصد زوجات الزملاء."

ابتسمت(سالي) لدعابته وتبادلت نظرة سريعة مع زوجها الذي غاص بعينيه في عينيها قائلاً بإصرار ـ"اعذرنا هذه المرة يا صديقي، فقد اشتقت لزوجتي".

ولم تكن أقل شوقاً منه.

****

(١٣)

أوقف سيارته في المرأب، في الوقت الذي ارتفع فيه رنين الهاتف الأرضي، فخرجت(سالي) مسرعة نحو المنزل ورفعت السماعة لاهثة الأنفاس لتجد حماها على الطرف الآخر يهتف بارتياح -"ألو يا(باسم)..أين كنتم؟ ولماذا تغلق هاتفك المحمول؟"

أجابته في سرعة -"أنا(سالي) يا عماه. كيف حالكم جميعاً؟"

ضحك الرجل ضحكة قصيرة وهو يقول -"مرحبا يا(سالي). نحن بخير والحمد لله. كيف حالكم أنتم يا ابنتي؟ أين(باسم)؟ أنا أحاول الاتصال به منذ انتهاء المباراة دون جدوى."

التفتت ناحية الباب تتابع اقتراب(باسم) وهي تجيبه -"لا تقلق يا عماه. لقد انتهى شحن هاتفه، وهو الآن يوقف السيارة في المرأب. هاهو يقترب."

التقط منها (باسم) السماعة في سرعة وهو يهتف بسعادة -" أهلا يا أبي. كيف أحوالكم جميعاً؟"

هنأه والده بالفوز قائلاً -"بخير مادمت ترفع رأسنا دوماً."

جلس على الأريكة ليواصل حديثه مع والده في حين وقفت هي تراقبه. تابعت ابتسامته المضيئة والحنان الذي يملأ

عينيه، ووجدت نفسها تجلس إلى جواره وعيناها معلقتان بوجهه وتعبيراته. لحظتها فقط أدركت كم افتقدت هذه الملامح طيلة الأسبوعين الماضيين، وكم احتاجت ضحكته الصافية كي تخفف من وحدتها.

انتقلت عيناها لاإرادياً إلى كفه الأيسر الرابض على الأريكة إلى جواره وإلى دبلة زواجهما في بنصره، الدبلة التي قبلها اليوم مرتين في شغف أمام الآلاف معلناً حبه لها، والأهم..افتقاده الشديد إليها بجانبه.

وبهدوء تسللت أناملها لتعانق أصابعه في هيام. أثارت حركتها دهشته البالغة فاستدار إليها رافعاً حاجبيه في حيرة وهو يتأمل ملامحها الناعمة. أنهى حديثه مع والده وبصره مازال معلقاً بوجهها البريء. ترى ما سبب ذلك؟ هل عرفت الحب بهذه السرعة أم تراها تعبر عن مدى افتقادها له؟

كاد عقله يستمر في تساؤلاته لولا أن سمعها تهمس بخجل

-"لقد أوحشتني".

لمعت عيناه بجذل وابتسامته تتسع لتشمل وجهه كله.

ففي الوقت الحالي، كان هذا الاعتراف يكفيه.

****

(١٤)

زفر في ضيق بعد أن طالع صفحة الرياضة بإحدى أشهر الصحف اللندنية اليومية وقرأ تعليقاتها الساخرة على مستواه في المباراة الأخيرة. وفي غيظ طوى الجريدة وقذفها على طول ذراعه لتسقط في نهاية الشرفة التي يستلقي فيها على كرسي طويل.

التقط من جواره كتاباً حاول أن يغرق أفكاره فيه إلا أنه فشل فزفر ثانية وهو يضع الكتاب على صدره وأسبل جفنيه علّه يفلح في أن يقنع عقله بالنوم.

لكن عقله العنيد أبى وهو يعيد أمام عينيه مشاهد من الأيام الثلاثة التي سبقت حضوره إلى دوفر.

تذكر كيف صدمته(سالي) بصراحتها حينما قالت له ببساطة

ـ"أرجو ألا تغضب من قولي يا (باسم)، أرى أنه لا داع لحضوري مبارياتك مادمت لا أفقه شيئاً في كرة القدم، وأعتقد أنه يمكنني استغلال وقتي الضائع في المباريات لحساب دراستي بحيث أكون لك وحدك بعدها ولا يشغلني عنك شيء."

قالتها ببساطة وكأنها رتبتها من قبل،

أو لعلها حفظتها جيداً قبل أن تقذفه بها كطلقة مدفع مدمرة.
لم تتخيل كم كانت صراحتها تلك قاتلة له،
ولا كيف نبهته لأول مرة إلى أنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين لا علاقة لأحدهما بالآخر.
لقد تصور أن الحب قادر على إقامة الجسور ودمج الرؤى المتناقضة، إلا أن عقله خانه هذه المرة..
ليس عقله فحسب، بل قلبه أيضاً.
مشكلته تكمن في كونه يحبها بشده ولا يستطيع جرح مشاعرها،
بل إنه لا يُظهر ضيقه أو غضبه أمامها حتى لا تكرهه.
ولذا يكتم مشاعره تلك بداخله، وتكون النتيجة فشله في عمله.
نعم فشله،
لقد لعب المباراة_لأول مرة في حياته_ بخشونة غير متوقعة جعلته يحصل على إنذار بالطرد، بل لقد طُرد فعلاً من المباراة التي خسرها فريقه بسببه وبسبب عنفه. وفي مجتمع يحكمه الإعلام كانجلترا لم تتركه الصحف ولا محطات التلفاز، فخرج العنوان الرئيسي يقول متهكماً 'هل انتهى

شهر العسل في حياة(باسم نعمان)؟' و'هل سبب تألق(باسم) هو سبب أفوله؟' وغيرها من العناوين المثيرة للأعصاب.

والأدهى أنه عندما طلب من زوجته العودة معه إلى مصر كي يريح أعصابه تحججت بعملها وبأنها لا تستطيع إهماله خاصة بعد أن وصلت إلى مرحلة لا بأس بها، ثم عادت فاقترحت عليه في رقة الذهاب إلى دوفر على أن تلحق به بعد يومين.

ولم يكن بوسعه سوى أن يترك لندن إلى دوفر هرباً من جحيم الصحافة رغم أنه لم يغادر أرض المملكة بعد.

ومن أعماق قلبه انطلقت آهة قوية حملت بداخلها شعوره بأنه مُستَهلَك وبأنه وقع ضحية لزوجته التي استغلت حبه لها لمصلحتها الشخصية، وانساق هو مدفوعاً بحبه ورغبته في إرضائها.

إلا أن قلبه انتفض في قوة مدافعاً عن حبيبة عمره التي لم يحب سواها وهتف بعقله قائلاً 'ما فائدة المال إذا لم نُسعد به من حولنا؟'

وفي مرارة أجابه عقله'أنت على حق، ولكنك مثلما تعطي تتوقع أن تأخذ. أنا لا أشتر حبها أو عطفها، بل أريدها أن

تعطيني إياه بدون مقابل مثلما أعطيها حبي مجاناً. إنها لا تحب المال ولا تبذره كبعض النساء، بل على العكس تنفقه بحذر في مواضعه دون إسراف.'

كل ما كان يحتاجه في هذه اللحظة هو حبها وحنانها،

يريد أن يلقي رأسه على صدرها مثلما اعتاد أن يفعل مع أمه وأن تمسد له شعره كما لو كان طفلاً.

نعم، إنه يريد أن يعود طفلاً، لكن دون أن يفقد رجولته.

وعلى حين غفلة تسلل النوم إلى أجفانه وحمله بعيداً عن عالمنا حتى أنه لم يشعر بباب الغرفة يُفتح ولا باقتراب أحد منه إلا حينما حجب ظل شخص ما الشمس عنه وسمع صوتاً أنثوياً محبباً إلى نفسه يهمس -"حرب طروادة؟! يا له من كتاب."

فتح عينيه لحظتها ليجدها تقف عند رأسه وتنحني فوقه حتى تكاد رأسها تلامس الكتاب على صدره.

نفس المرأة التي كان يفكر فيها منذ قليل والتي اشتاق لرؤيتها وسماع صوتها.

وبدهشته التي فاضت في صوته هتف دون أن يتحرك قائلاً -"(سالي)؟! كيف جئت؟"

منحتـه ابتسـامة عذبـة وهـي تنظـر إليـه مقلوبـة الـرأس قائلـة ـــ"لأول مــرة أرى الصــورة مقلوبــة، أفضــلها علــى النحــو الصحيح."

قالتها وهي ترفع نفسها وتطبع قبلـة سريعة علـى جبينـه قبل أن تدور حول المقعد لتجلس أمامه وتحتضن كفيه بين كفيها قائلة ـ" افتقدتك ولم أستطع الجلوس وحدي بالبيت فأتيت".

عقد حاجبيـه وهـو يعتـدل قـائلاً ـ"سألتك كيـف جئـت ولـيس لماذا."

هــزت كتفيهــا ببســاطة قائلـــة ـــ"بسيارتك الرياضــية التـــي أهديتني إياها بعد فوزك بأول مباراة بعد زواجنا، ولا تنس أن معي رخصة قيادة دولية أخذتها من مصر قبل زواجنا."

قال بعدم اقتنـاع ـ"ولكن الطريق..."

قاطعته قائلة في سرعةـ"لا تنس أنك صحبتني عليـه مـرتين. ربمـا كنــت نائمــة فــي رحلــة العــودة لكنــي لــم أنــس الطريــق واســتعنت بجهــاز جــي بــي إس فــي الســيارة. هــل ضــايقك حضوري المفاجئ؟"

ابتسم في عذوبة وقال وهو يقبل كفيها في حب ـــ"من رابع المستحيلات أن يضايقني وجودك. أنا فقط مندهش لأنك قلت

إنك لن تستطيعي القدوم قبل ثلاثة أيام من الآن. فلماذا غيرت رأيك؟"

أراحت رأسها على صدره قائلة -"إنها قصة طويلة، هل عندك استعداد لسماعها؟"

قبل رأسها هامساً -" المهم ألا تكون مملة."

ضحكت في صفاء وهي ترفع رأسها عنه قائلة -"حسناً..إليك يا سيدي.. بالطبع افتقدتك في المقام الأول وأحسست أنني كنت قليلة الذوق معك خاصة بعد المباراة، لكن ما أدهشني حقاً هو أنني حينما قابلت مشرفي أمس فوجئت به ينظر إلي شذراً ويسألني بدهشة 'ماذا تفعلين هنا؟ لماذا لم تسافري مع زوجك؟'"

عقد(باسم) حاجبيه ثانية وهو يسألها-" كيف علم بسفري؟"

ضحكت(سالي) ثانية وهي تجيبه قائلة -"هذا ما سألته إياه فأجابني بأنه يعرف أنني زوجتك وأنه من مشجعي فريقك ومن أكبر معجبيك هو وأولاده. لا أخفي عليك أنني دُهشت لذلك وسألته بذهول' هل تشجع كرة القدم؟' وأجابني بكل ثقة بالإيجاب ثم تابع قائلاً إنه ظل لسنوات كثيرة يظن أن واجب العالِم الأول هو علمه وعمله وأنه لا شيء آخر يأتي على

القائمة مثلما علّمه مشرفه على رسالة الدكتوراه، وأنه غير رأيه بزاوية ١٨٠درجة عندما مات هذا العالِم وحيداً في شقته واكتشفوا جثته المتعفنة بعد ثلاثة أيام."

ارتسم الامتعاض على وجه(باسم) بينما تابعت هي قائلة -"ويومها قرر أن يعيش حياته مثل أي شخص عادي فتزوج مساعدته وأنجب منها، بل ويشعر بالندم على كل يوم عاشه وحيداً."

رفع حاجبيه في دهشة متسائلاً -"أهذه القصة حقيقية؟"

أومأت برأسها إيجاباً وقالت وهي تعود لوضع رأسها على صدره وتحيطه بذراعيها -"بالتأكيد، وأهم ما فيها أنني أدركت أنه لا طعم لأي فوز دون وجودك إلى جواري، وأن كل إنجازاتي العلمية لا معنى لها إذا فقدت حبك."

تسللت أصابعه تتخلل شعرها وهو يهمس -"أحبك."

غاصت في بحور عينيه للحظات قبل أن تضحك فجأة بصوت عال فعاد يرفع حاجبيه في دهشة قائلاً -"ما الذي يضحكك؟"

قالت من بين ضحكاتها -"لقد تذكرت شقيقتي(نهاد) عندما قالت لي إنها لا ترى سبباً يجعلك تحب فتاة ذكورية مثلي".

ضحك بدوره على قولها ثم ما لبث أن قال بصدق وعيناه

تغزوان عينيها ."أنت أجمل وأرق أنثى رأيتها في حياتي. صحيح أن مرآة الحب عمياء لكنني أصر على أنك الأجمل بالفعل. والأهم هو أن الحب الحقيقي لا سبب له، أنا نفسي لا أعرف لماذا ولا كيف وقعت في حبك. أنت أيضاً حينما تسألين نفسك لماذا تحبينني أو ستحبينني ولا تجدين لذلك سبباً..حينها فقط يكون حبك لي حقيقياً."

تأملت ملامحه الوسيمة للحظات اختلج فيها قلبها يهتف بأنه يحب هذا الرجل.

إلا أن عقلها العلمي هتف بها'أنت تحبينه لأسباب، وطبقاً له هذا ليس حباً'.

انتفض قلبها يدافع عن حبه الوليد'وما أدراني أنني لا أحبه لنفسه؟ أنا لم أجرب الحب من قبل، ولن يضيرنا أن نتبع نصيحة(بروفيسور أنجلز). يجب أن نحب وأن نشعر بحبه.'

وإثباتاً لنواياها الحسنة أحاطت عنقه بذراعيها وتركته يحتويها في حنان أشعرها بمدى حبه لها، وحينها أدركت بالفعل كم تحب هذا الرجل وتحب وجوده إلى جوارها.

****

(١٥)

دلفت إلى غرفتها القديمة في بيت والديها وأغلقت الباب خلفها في رفق وهي تتسلل على أطراف أصابعها كي لا توقظ زوجها الذي استغرق في نوم عميق_أو هكذا بدا لها_ على فراش شقيقتها السابق. وما أن تجاوزت الفراش في طريقها إلى فراشها هي حتى سمعته يقول في هدوء -"أنا لم أنم بعد، خذي راحتك."

شهقت في فزع وهي تحدق في الظلام الذي شقه ضوء أبيض بهر عينيها للحظات قبل أن تدرك أنه ضوء فلاش هاتف زوجها المحمول فهتفت به محنقة -"لقد أفزعتني، أتعلم أنني كدت أصطدم بحافة الفراش في الظلام لأني لم أرد إضاءة الغرفة وإزعاجك."

ابتسم مشاكساً وهو يعتدل جالساً ويضيء المصباح الموجود بين الفراشين قائلاً -"هل نسيت إحداثيات غرفتك بهذه السرعة؟ ليتني ارتديت قناعاً مخيفاً أو وقفت خلف الباب لأفزعك بحق، ولكن قلبي الرقيق لم يطاوعني."

وضعت كفيها في خاصرتها وقالت تتحداه -"جرب أن تفعلها وسأجعل أبي يتصرف معك."

رفع حاجبيه بتحدي مصطنع قائلاً بسخرية -"هكذا؟"
قالها وهو يثب بخفة من الفراش ليعتقلها من ظهرها بين ذراعيه وهي تحاول التملص منه ضاحكة، إلا أنه شدد قبضته عليها وهو يسألها بلهجة تحد مماثلة للهجتها -"ماذا ستفعلين الآن؟"
قالت بنفس التحدي وهي مازالت تحاول الفكاك من أسر ذراعيه -"سأصرخ لأنادي أبي وأمي."
سألها -" وماذا ستقولين لهم؟"
التفتت لتواجهه ودقت صدره بقبضتيها قائلة -"سأقول لهم أغيثوني..انجدوني.. إنه يعذبني بنظراته الساحرة وابتسامته العذبة وينام على فراش شقيقتي ويتركني أنام وحدي."
رفع حاجبه مشاكساً -" سأقول لهما إنني تركتك كي تتذكري طفولتك وشبابك على فراشك القديم دون إزعاج."
أحاطت عنقه بذراعيها قائلة بدلال -"وأنا أريد أن أتذكرها معك."
تأمل ملامحها الهائمة للحظات قبل أن يقول فجأة -"ذكريني حينما نعود إلى لندن أن أشكر(بروفيسور أنجلز) بنفسي، لقد صرت(سالي) أخرى، خالية من التعقيدات."

أراحت رأسها على صدره قائلة -" لقد جعلني أدرك كم هي قصيرة حياة المرء كي يضيعها دون أن يستمتع بما أحله الله له فيها، كما جعلني ألحظ شيئاً آخر."

أجلسها على طرف فراشها وركع هو على ركبتيه أمامها وهو يسألها في حيرة -"أي شيء آخر؟"

طافت عيناها بوجهه قبل أن تقول بتردد -"لقد لاحظت اهتمامك وحبك البالغين لـ(مروان) ابن شقيقتي و(أحمد) و(محمود) ابني(بسمة) شقيقتك. لقد ابتعت لهم ألعاباً وملابس من لندن، واليوم صحبتهم في نزهة... كل هذا لا يعني سوى شيء واحد، افتقادك لطفل من صلبك."

احتوى وجهها براحتيه قائلاً بتأثر -"حبيبتي...هل قلت ذلك يوماً؟"

تنهدت في عمق قائلة -"أنت لم تقل شيئاً، لكنني رأيت السؤال في عيني(بسمة) شقيقتك وفي أعين أسرتي قبلها. كلهم يقولون نفس السؤال'متى ستحملين طفل(باسم) بداخلك؟'"

ابتسم بهدوء كعادته وقال وهو يداعب شعرها الناعم -"وما هي إجابتك؟"

تناولت كفيه من على شعرها وضغطتهما قائلة -" إجابتي هي أنني أتمنى مجيء ذلك اليوم، بعد إرادة الله عز وجل."
اتسعت ابتسامته وهو يهمس -"أنا أيضاً أتمناه مثلك، لكن ليس الآن".
رمقته بنظرة دهشة وقد اتسعت عيناها بشكل مضحك فتابع مبتسماً -" لا تنظري إلي هكذا كما لو كنت معتوهاً وأجيبيني بصراحة؛ هل يمكننا تربية طفل التربية السليمة ونحن نعيش على هذا النمط؟ أنا لست موجوداً أغلب الوقت وأنت مشغولة بأبحاثك ودراستك.. من سيعتني بطفلنا؟ من سيعلمه أن يحبنا ويحب وطنه لو وُلد بالخارج؟ في الفترة الحالية لا نستطيع تحمل مسؤولية طفل، وهذه حقيقة لا جدال فيها. وعلى أي حال إرادة الله فوق كل شيء."
هزت رأسها قائلة -"ونعم بالله."
شد على كفيها قائلاً بجدية -"أريد أن أطلب منك شيئاً قد يكون صعباً بالنسبة لي كرجل، لكن لا مفر منه لأنه يهمك. حاولي الانتهاء من رسالتك في أقرب فرصة ممكنة، حاولي استغلال كل وقت متاح لك في غيابي وبشكل مكثف، فأنت تعرفين جيداً أن بقائي في إنجلترا معتمد على ساقي كلاعب.

أي حادث_لا قدر الله_سيجعلني أترك الملاعب وأعود لمصر، وحتى على أفضل الفروض قد أنتقل إلى فريق آخر في بلد آخر ووقتها سيصبح من الصعب عليك الانتهاء من رسالتك."

حدقت في وجهه بذهول وهي تسأله بصوت مبحوح -"لماذا تفعل كل هذا؟ لماذا تريدني أن أنجح؟"

سألها بابتسامة جانبية قائلاً -"أتسألينني الآن؟ لأنني أحبك، ولأنني أريد أن أراك أفضل إنسانة في العالم، ولأنني لا أعرف لماذا أحبك...ألا تكفيك هذه الأسباب؟"

جذبته من كفه ليجلس إلى جوارها وهمست وعيناها لا تفارق عينيه -"أنت رجل رائع يا(باسم)...أنا فخورة بك وبأنني زوجتك، بالفعل فخورة بك."

قبل جبهتها في حنان قائلاً -"هذا يسعدني، تماماً مثلما يسعدني فخري أنا الآخر بك؛ إلا أن سعادتي ستزيد حينما أسمع كلمة أخرى من بين شفتيك."

تأملته للحظات ثانية قبل أن تهمس بصدق -"أحبك".

تألق بريق الفضة في عينيه وهو يتأمل ملامحها الحالمة ويسألها في دهشة قائلاً -"ماذا قلت؟"

رددت الكلمة ثانية في بطء وابتسامتها تملأ وجهها قائلة -"أحبك."
تهللت أساريره واتسعت ابتسامته وهو لا يصدق ما سمعه بأذنيه للتو، فقال بسعادة -"أعيديها على مسامعي ثانية أرجوك."
ضحكت في رقة وهي تعيدها على مسامعه وهو يلثم كفيها ويهمس قائلاً -" وأنا أحبك وأحب غرفتك هذه، أنا حتى أحب الفيزياء الحيوية. أحبك، أحبك، أحبك."
التقت أعينهما للحظات قبل أن يهمس لها -"(سالي)...أنا اليوم أسعد إنسان في العالم".
غاصت في بحار عينيه ثانية وهي تهمس بصدق -"وأنا أسعد زوجة".
وكان هذا هو شعورها الفعلي في تلك اللحظة.

****

(١٦)

انهمكت والدة(باسم) في إعداد طعام الغذاء في مطبخ منزلها ووقفت معها ابنتها تساعدها في همة قبل أن تقول لأمها بلهجة ذات مغزى ـ"ألم يخبرك(باسم) شيئاً؟

عقدت أمها حاجبيها قائلة في حيرة ـ"شيئاً مثل ماذا؟"

هزت(بسمة) كتفيها وهي تجذب باب المبرد قائلة ـ" أبداً، لقد لاحظت اهتمامه الزائد بأولادي وبـ(مروان) ابن(نهاد). لقد أحضر لهم ملابس وألعاباً كثيرة واصطحبهم أمس للملاهي، ألا يعني هذا شيئاً؟"

هزت الأم رأسها نفياً قائلة ـ"لا يعني شيئاً جديداً،(باسم) يفعل ذلك كل أجازة؛ أم أنك تلمحين إلى ابن(نهاد)؟"

أجابتها ابنتها في سرعة قائلة ـ"كلا بالطبع، فـ(مروان) وأبنائي تقريباً في منزلة واحدة عند(باسم) ربما من قبل أن يتزوج(سالي). (باسم) يعشق الأطفال يا أمي وهذا ما أسألك عنه. ألم يخبرك بحمل زوجته؟"

هزت الأم كتفيها وهي تتذوق طعم الحساء قائلة ـ"كلا لم يخبرني، وما أظنه يخفي خبراً كهذا عنا لو كان صحيحاً. ألم تلحظي أنت شيئاً عليها؟"

التقطت(بسمة) بعض ثمرات الطماطم الطازجة من المبرد وهي تجيب أمها قائلةـ"كلا لم ألحظ، لقد كانت في قمة النشاط والحيوية أمس في الملاهي كما لو كانت طفلة صغيرة."

أشاحت الأم بكفها بعيداً قائلة ـ"لا تشغلي بالك، هذه حياتهما وهما أحرار فيها. لكن ما سر اهتمامك المفاجئ هذا؟"

مطت(بسمة) شفتيها قائلة ـ"أنا مهتمة بشقيقي وبرغبته في أن يكون له ابن من صلبه. أعتقد أن هذا حقه وحقنا جميعاً."

ربتت الأم على كتف ابنتها قائلة بحكمة ـ"(باسم) حر في حياته يا(بسمة)، كما أنه متزوج منذ ستة أشهر فقط. دعيه يستمتع بعروسه وشبابه."

ضحكت(بسمة) في تهكم قائلة ـ"عروسه؟ عروسه لا تهتم سوى بدراستها وبالدكتوراه؛ أراهنك على أننا لن نر أبناء(باسم) قبل أن تنهي(سالي) الدكتوراه."

ربتت أمها على كتفها ثانية ونصحتها قائلة ـ"من المؤكد أنهما متفقان على ترتيب حياتهما سوياً. ثم ما سر تحيزك ضد زوجة أخيك؟ ألأنها كانت دوماً متفوقة في دراستها وعملها، أم لأن(باسم) اختارها هي ولم يختر أخت زوجك؟"

ارتبكت(بسمة) لصراحة أمها وتلجلجت الكلمات على شفتيها فبادرتها أمها قائلة ـ"وأحب أن أذكرك بأن(باسم) يحب زوجته واختارها عن اقتناع. لقد تعمدت يوم أن أرسلت إليه أسماء الفتيات اللاتي سيختار منهن أن أضع اسم (سالي) وسط الأسماء كيلا ينتبه إليه، لكنه لم يحدثني إلا عنها. أفهمت الآن مشاعره نحوها؟"

هزت(بسمة) كتفيها بلامبالاة وهي تقول ـ" على أي حال أنا لا يهمني سوى سعادته. وفقهما الله."

همت أمها بالرد عليها حينما سمعا صوت باب الشقة يُفتح ويُغلق ليقترب(باسم) من المطبخ وعلى وجهه ابتسامته العذبة قائلاً ـ"صباح الخير يا أمي."

انتبه لوجود شقيقته فقبّل جبهة أمه في حنان قبل أن يُقَبّل جبهة شقيقته قائلاً بود ـ"كيف حالك يا(بسمتي)؟ وأين أولادك؟ لماذا لا أسمع ضجيجهم؟"

ربتت(بسمة) على ظهره قائلة ـ" نوم الظالم عبادة، لن ينتهي الغذاء إذا استيقظوا الآن."

قالتها وهي تختلس النظر إلى ما خلف شقيقها قائلة بتردد ـ"أين(سالي)؟ ألم تحضر معك؟"

أجابها في هدوء قائلاً -"(سالي) ستتأخر قليلاً، لقد ذهبت لتقابل أساتذتها بالكلية وزملائها القدامى."

رفعت(بسمة) حاجبيها باندهاش مفتعل -"اليوم؟"

مط(باسم) شفتيه قائلاً-" نعم اليوم، لقد طلبت منها أن تُنهي جميع زياراتها لأصدقائها وزملائها في أقرب فرصة لأننا قد نعود إلى لندن في أي وقت."

سألته أمه في لهفة-" ألن تبق معنا للعيد؟"

هز كتفيه قائلاً-" لا أعلم بعد، سأتصل بمدربي وهو صاحب القرار."

ابتهلت أمه إلى الله قائلة-"أدعو الله أن يتركك تقضي العيد معنا، بدونك لن يكون له طعم."

قبّل جبهتها ثانية في حب قائلاً -"حفظك الله لي، حفظكم الله لي جميعاً."

ثم التفت إلى شقيقته مداعباً يقول -"سأذهب لأوقظ(أحمد) و(محمود). لقد أوحشاني هذان التوأمان."

ربتت على كتفه قائلة-"ما دمت تحبهما هكذا أنجب لهما عروسين."

رفع(باسم) حاجبيه في دهشة ولم يغب عن نظره مرفق أمه

الذي تحرك في سرعة ليلكز جانب (بسمة) كنوع من العقاب لكنه أجاب بابتسامة ودود وهو يخرج من المطبخ ـ"لا تتعجلي، عندما يشاء المولى عز وجل ستصبحين عمة."
وتركهما ليداعب طفلي شقيقته في حنان.
وقبل أن يحين موعد الغذاء كانت(سالي) تدق جرس الباب وتعتذر لحماتها عن تأخرها في الحضور بسبب ازدحام المواصلات في وقت الذروة.
تناولا الغذاء مع أسرة(باسم) قبل أن ينسحب هذا الأخير معتذراً لعائلته قائلاً -"سنستأذنكم الآن لأن لدينا مشوار هام."
أشار إليه والده قائلاً -"إلى أين؟هل ستضحي بصينية البسبوسة من صنع يدي(أم باسم)؟"
ضحك(باسم) قائلاً -"لا أستطيع التضحية بها، حافظوا على نصيبي ونصيب زوجتي لحين عودتنا. بالمناسبة يا أمي، سنبيت هنا الليلة."
تهللت أسارير أمه وهتفت وابتسامتها تضيء وجهها الحنون قائلة -"مرحباً بك في بيتك يا حبيبي، سيزداد بهاء البيت بوجودكما اليوم."

تورد وجه (سالي) خجلاً في حين رفعت (بسمة) حاجبيها قائلة بغيرة مصطنعة -"يا سلام، الكلام العذب لا يخرج سوى لـ(باسم)..أما أنا..يا لحظي التعس."

ربت(باسم) على كتف أخته باستخفاف مرح قائلاً -"لقد شبعت أمي من رؤيتك كل يوم يا عزيزتي، أنت بالنسبة لها طعام مكرر تأكله كل يوم، أما أنا ففاكهة نادرة الوجود."

تعالت الضحكات على تعليقه في حين عقدت(بسمة) حاجبيها بغضب مصطنع قائلة -"هكذا؟ لن أرد عليك."

مال(باسم) يقبل رأسها قائلاً بود -"أنت أختي الحبيبة وأنا أحب مشاكستك."

قبلت(بسمة) وجنته قائلة-"حفظك الله لي يا أخي الحبيب."

ربت(باسم) على كتفها بحنان قبل أن يقول للجميع -"أراكم في المساء إن شاء الله."

****

(١٧)

وقفت ساهمة أمام مشهد غروب قرص الشمس الأحمر وغوصه وسط مياه نهر النيل، ولم تشعر باقترابه إلا حينما وقف خلفها وأحاطها بذراعيه هامساً ـ"ألهذه الدرجة استغرقك الغروب؟"

أجابته وعيناها لا تفارقان المشهد ـ"نهر النيل رائع، وقوة مصر مستمدة من قوته. أنا فخورة بانتمائي له."

ضحك وسألها في دهشة ـ"إلى هذا الحد؟! لم أتصور أن يثير النيل كل هذه المشاعر الوطنية لديك. ما السر؟"

غاص لحظتها قرص الشمس تماماً تاركاً شفقاً أحمر مكانه في الأفق فاستدارت تواجه زوجها قائلة بابتسامة حالمة ـ"عندما وقفت على نهر التايمز ورأيت جماله تذكرت النيل وشعرت بحنين بالغ لبلدي ونيلها، وتمنيت مع نفسي أن أسكن في شقة تطل على نهر النيل كي أراه في كل وقت."

داعب وجنتها قائلاً ـ"وها قد استجاب الله عز وجل لدعائك وفاجأتك بأن شقتنا تطل على النيل."

سألته فجأة ـ"متى اشتريت هذه الشقة؟"

أجابها بهدوء ـ"قبل خطبتنا، فأنا من هواة مشاهدة غروب

الشمس داخل مياه النيل".

ثم أتبع ـ" أشعر بأنه أكثر رومانسية من الشروق".

عادت تتأمل الشفق الأحمر وهي تهمس بحالمية أدهشته ـ"ربما يعتبره البعض نهاية لقرص الشمس المضيء، لكنني أراه بداية لرحلة تفاؤل جديدة في مكان آخر على الأرض".

وقف إلى جانبها يتأمل صفحة النيل الهادئة قبل أن يستدير ليرى ملامحها الناعمة هامساً ـ"زوجتي فيلسوفة أيضاً... يبدو أنني محظوظ أكثر مما تخيلت".

تناولت كفه بين راحتيها وضغطتهما بحب هامسة ـ" بل أنا المحظوظة بوجودك في حياتي. أشعر أن الله سبحانه وتعالى أرسلك لي لتحول كل أحلامي إلى حقيقة."

تناول كفها يلثمه في رقة قائلاً ـ"وما الداعي لوجودي إن لم يكن لتحقيق أحلامك وإسعادك؟ مجرد أن تجول فكرة بخاطرك هو أمر واجب التنفيذ بالنسبة لي."

عانقته في حب قائلة بامتنان ـ"حفظك الله لي يا حبيبي."

قبل جبهتها في حنان وهو يقول ـ" وحفظك لي. والآن هيا لرؤية باقي الشقة، وبعد ذلك سنخرج سوياً لنختار الأثاث وكل ما نحتاجه. أريد أن ننتقل للإقامة هنا قبل نهاية الأسبوع

بإذن الله. أريد أن نمضي عيد الأضحى سوياً هنا."
عقدت حاجبيها قائلة -" وماذا عن المدرب؟"
أشاح بيده قائلاً -" دعك مني. ماذا حدث في الجامعة اليوم؟"
صحبته لداخل الشقة وهي تجيبه قائلة" قابلت دكتور(فكري) وباقي زملائي في القسم. أما دكتور(عثمان) فعلمت أنه سافر لأداء فريضة الحج."
سألها باهتمام -" وهل أبدى دكتور(فكري) أي ملاحظات حول عملك؟"
مطت شفتيها في إحباط قائلة -"نعم، قال إنني أعمل وفق جدول بطيء وأنه كان يتوقع مني ما هو أفضل من ذلك. والأغرب من ذلك أنه شكك في قدرات بروفيسور(أنجلز) العلمية.. لا أدري ماذا أفعل؟"
تنحنح وهو يداعب خصلات شعرها الناعمة متظاهراً بالتفكير قائلاً -"رأيي هو أن تحاولي الاستمتاع بأجازتك هنا، وهيا بنا وإلا سنتأخر وقد تلتهم(بسمة) نصيبنا من البسبوسة."
شهقت وهي ترفع حاجبيها بذعر مصطنع هاتفة -"لا...إلا البسبوسة من يدي (أم باسم)...هيا بنا".
قالتها وهي تجذبه من كفه نحو الباب، وتبعها دون مناقشة.

(١٨)

استشاط غضباً وهو يفتش محتويات صوان ملابسه بحثاً عن ملابس تدريب نظيفة دون جدوى. لم تكن تلك المرة الأولى التي يلحظ فيها قلة ملابسه النظيفة. في كل مرة كان يصمت ويتهاون، بل ويغسل بنفسه ملابسه المتسخة أحياناً. لكن الكيل اليوم كان قد بلغ مداه.

هبط للطابق السفلي واتجه من فوره إلى غرفة المكتب ووقف على بابها واضعاً كفيه في خاصرته قائلاً والشرر يتطاير من عينيه -" أين ملابس تدريبي النظيفة؟"

لم يبد على (سالي) أنها سمعته أو شعرت بوجوده من الأساس، حيث استغرقها عملها على الحاسوب فلم تعد تشعر بما يحدث حولها.

ازداد غضبه وعلا صوته وهو يهتف في عصبية-" (سالي) أنا أحدثك... أين ملابسي النظيفة؟"

انتفضت في فزع وهي ترفع عينيها إليه قائلة -"ما ذا بك يا (باسم)؟ لقد أفزعتني."

أعاد سؤاله من بين أسنانه التي يجزها غيظاً فعقدت حاجبيها للحظات تستوعب سؤاله قبل أن تجيبه في هدوء قائلة -" في

الصوان بغرفتنا."

أشاح بيده قائلاً في عصبية ـ" لا يوجد شيء بالصوان، لا قمصان نظيفة ولا ملابس تدريب ولا حتى جوارب أو ملابس داخلية."

سألته في حيرة حقيقية ـ" أين ذهبوا إذاً؟"

فارت الدماء برأسه من هدوءها فهتف بها في ثورةـ "أتسألينني؟ كل ملابسي متسخة وفي انتظار تعطفك لغسلها. أتدرين منذ متى؟ منذ أسبوعين...جميع ملابسي متراكمة منذ أسبوعين دون تنظيف ودون سبب واضح لإهمالك شئوني وشئون منزلك."

أحنقها صوته العالي فنهضت من خلف المكتب قائلة بضيق ـ"لماذا تهتف بي هكذا؟ أنت تعلم مدى انشغالي في دراس..."

قاطعها بغضب هادر لم تره من قبل_ أو بالأحرى لم تتوقع رؤيته_ قائلاً ـ"بيتك أهم يا سيدتي...بيتك وزوجك أولاً."

شعرت بأنها أمام (باسم) آخر غير الذي تزوجته، ولم يستوعب عقلها العلمي هذا التغير الشديد في أسلوبه فقالت مدافعة عن نفسها ـ" أنت تعلم أنني لا أهمل شئونك عن

عمد... وتعلم أنني..."

قاطعها هاتفاً في ثورة ـ" كل هذا ولا تهملين شئوني؟ عندما تتراكم كل ملابسي بهذا الشكل ناهيك عن نظافة المنزل والأكل من المطاعم... كل هذا ولا تعدينه إهمالاً عن عمد؟"

تصاعدت دماء الغضب بغزارة إلى رأسها وكادت أن تُفقدها صوابها إلا أنها تماسكت وهي تلتقط نفساً عميقاً وتنفثه في بطء وتقترب من زوجها في هدوء مدروس، وبابتسامة رقيقة لمست ذراعه بحنو قائلة ـ"حبيبي أنا آسفة. قليل من التعاون لن يضرنا."

سحب ذراعه بعيداً عنها وأشاح به هاتفاً ـ"ماذا تقصدين بالتعاون؟ أن أغسل ملابسي بنفسي وأن أنظف لك المنزل؟ فعلت ذلك بالفعل أكثر من مرة في انتظار أن توليني اهتمامك، لكن يبدو أن الأمر راقك ونسيت مسؤولياتك تماماً".

ضغطت أسنانها لتمتص غضبها وحاولت الابتسام قائلة ـ"حاول أن تعود إلى أيام العزوبية يا حبيبي. فيم اختراع مغاسل التنظيف الجاف إذاً؟"

أثاره هدوءها وكأنه كان ينتظر انفجار غضبها كي يعيد إليها

الحياة، أو ربما ليشعر بأنه يعيش مع كائن حي وليس وحده.
المهم انـه انفجر بهـا بثـورة تشبه ثـورة'سـي السيد' هاتفـاً
-"عزوبية؟ أنا لم أتزوج كـي تطلب منـي زوجتـي العودة إلـى
أيام العزوبية، ولو أنني اشعر بأنني لم أعد متزوجاً. ليكن فـي
محـيط معلوماتـك الغزيـرة يـا زوجتـي العزيـزة أننـي رجـل
شـرقي... ولا يغرنـك وجودنـا فـي لنـدن. أنـا لسـت بـارداً ولا
أتنـازل عـن حقـوقي رغـم أننـي تسـاهلت فيهـا كثيـراً مراعـاة
لحبـي لـك، لكـن يبـدو أنـك استخدمت هـذا الحـب لمصـلحتك
الخاصة دون اعتبار لي."
وبحركـة سـريعة، وقبـل أن تستوعب(سـالي) دهشـتها ممـا
سمعته كانت أصابعه تنغرس في لحم ذراعيها بقسوة آلمتهـا
وهو يتابع فـي ثـورة -"وأرجو أن تتذكري دومـاً أن واجباتـك
كزوجة تسبق أي واجبات أخرى، وأن..."
قاطعته هي هذه المرة وهـي تجذب ذراعيها مـن قبضـتيه فـي
قوة وتهتف بكل غضبها المكبوت والـذي لـم تعد قـادرة علـى
حبسه بداخلها -"أنا باحثة قبل أي شيء آخر وأنـت تزوجتنـي
وأنت تعلم بهذا وراضي بـه. أتنكر أنـك طلبت منـي فـي مصـر
أن أهتم بدراستي وأن أستغل كل وقتي مـن أجـل الانتهـاء مـن

رسالتي في أقرب فرصة؟"

أجابها في حدة قائلاً -"أنا لا أنسى كلمة أقولها.. لقد قلت يومها أن تحاولي استغلال وقتك في غيابي بشكل مكثف، وقلت أيضاً إن هذا الطلب صعب جداً علّي. ولكن يبدو أنك كنت في انتظار أن أعفيك من مهامك كزوجة لذا استغللت الفرصة."

أشاحت بيدها بعيداً وهي تدافع عن نفسها قائلة -" والله أنا لم أجبرك على الزواج مني، وأنا واثقة من أنك كنت تعلم جيداً قبل الزواج أن أهم شيء في حياتي هو عملي، والمفروض أنك كيّفت نفسك على هذا."

استشاط غضباً من حديثها الذي بدا مخالفاً لكل الأعراف والتقاليد ولم يستطع منع لهجة التهكم التي سيطرت على صوته وهو يقول ساخراً-" أكيّف نفسي؟ يبدو أنك من هواة عكس الأمور. بدلاً من أن تنسقي أنت بين عملك وبيتك، أقوم أنا بذلك، ولم لا...إنها الألفية الثالثة."

وبغضب هادر هتف بها -"لماذا تزوجتني من الأساس ما دام عملك أهم عندك من أي شيء آخر؟"

أعماها غضبها واستثارتها سخريته ففوجئت بنفسها تهتف

بما ندمت عليه بعدها بلحظات، إذ صرخت به في حنق وثورة عارمين ـ"أتعلم لماذا؟ لأنني فقدت منحتي لدراسة الدكتوراه في لندن. أتعلم لماذا؟ لأن الجامعة لا يوجد لديها اعتماد مالي لتغطية البعثات. أتعلم لماذا؟ لأن أموال البعثات ذهبت لبضعة صبية يجرون وراء كرة والاسم منتخب مصر أو أندية مصر أو أي مسمى آخر. هل علمت الآن لماذا تزوجتك؟ لأن حقي عندك أنت وزملاءك."

قالتها ووضعت كفيها على فمها بندم وهي تراقب بعينين متسعتين هلعاً تعبيرات وجه زوجها.

فقد ارتسم الذهول على وجهه واسودت حدقتاه وهو يحدق بوجهها...

الوجه الذي ظنه يوماً وجه ملاك.

في أعماقه شعر بخنجر حاد يخترق قلبه في عنف وبلا هوادة تاركاً جرحاً عميقاً صعب اندماله.

وبألم شديد، وبصوت متحشرج من هول الصدمة غمغم بذهول ـ"حقك؟ أتبغضينني لهذه الدرجة؟ كيف خدعتني كل هذه المدة؟ بل كيف سولت لك نفسك فعل ذلك بي؟ لقد اتهمتني وأصدرت حكمك دون أن تتأكدي من عريضة الاتهام

يا دكتورة، بل ونفذت حكمك دون تردد."
وبحرقة شديدة هتف بها -" بعد كل ما فعلته من أجلك مازال قلبك مليئاً بالسواد تجاهي؟ على أي أساس بنيتِ اتهامك وحكمك؟ لعلمك الخاص أنا لم ألعب في منتخب مصر القومي قط. وكل أموالي قبضتها من عقد احترافي وراتبي هنا. أنا حتى لم ألعب مع فريق الدرجة الأولى الذي كنت ألعب له في مصر أكثر من أربع مباريات رآني في أحدها سمسار لاعبين ورتب لي صفقة انتقالي إلى هنا. باختصار أنا لم أقبض تمويل منحتك لأنني كنت أجلس مع الاحتياطي."
اغرورقت عيناها بدموع الندم وهي تراه ممزقاً أمامها من الألم فمدت يدها إليه هامسة -"(باسم) أنا آسفة..سامحني.. لم.."
قاطعها وهو يتراجع بعيداً عنها هاتفاً -"أسامحك؟ أسامحك بعد أن ذبحتني بنصل بارد؟"
انهمرت دموعها تغرق وجهها وهي تقترب منه هاتفة -"أرجوك سامحني وسنبدأ من جديد...سأكون.."
أشاح بيده في الهواء قائلاً بمرارة -" ستكونين ماذا؟ ستكونين أكبر جرح في حياتي."

قالها واندفع مغادراً الغرفة في اتجاه الباب الرئيسي للمنزل واختطف في طريقه معطفه وسلسلة مفاتيحه غير عابئ بنداءات زوجته المتكررة ولا بتوسلها له كي يرجع، بل إنه حتى لم ينظر عبر زجاج سيارته ولم يلمحها تقف أمام الباب المفتوح ودموعها تنهمر في غزارة،

وبالتأكيد لم يسمعها تهتف من بين نشيجها-" رباه. ماذا فعلت؟"

وابتعد (باسم) في سرعة.

****

(١٩)

استجابت بتخاذل لرنين جرس الباب، وعندما فتحته طالعها وجه (مليحة) البشوش، والتي ابتدرتها قائلة بمرحها المميز -"أين كنت مختبئة منذ البارحة؟"

دعتها للدخول في هدوء أثار انتباه صديقتها التي سألتها بقلق -"ماذا بك يا (سالي)؟ تبدين منهكة القوى. وماذا حدث لعينيك؟ إنهما متورمتان".

أشاحت بوجهها بعيداً وهي تجيب في سرعة -"لا شيء.. لقد قضيت ليلتي دون نوم أتابع أحد أبحاثي".

رفعت (مليحة) حاجبيها في دهشة تسألها -"وهل تركك (باسم) بهذه البساطة؟"

أغلقت الباب خلف رفيقتها وهي تجيبها بخفوت -"(باسم) ليس هنا..إنه في معسكر تدريبي".

ارتفع أحد حاجبي (مليحة) عن رفيقه وهي تقول متفهمة -"أها...معسكر تدريبي..هذا يفسر الأمر إذاً".

ثم، وبخبث شديد، هتفت وهي تضرب جبهتها بباطن كفها كمن تذكرت شيئاً للتو -""ويحي. لقد هاتفه (بشير) على هاتفه المحمول أمس وتحادثا طويلاً. كيف نسيت ذلك؟"

التفتت إليها في سرعة وشحب وجهها وهي تصارع مشاعر شتى..
مشاعر ندمها على ما ارتكبته في حق زوجها، وخوفها من أن يكون (بشير) و(مليحة) على علم بما حدث.
ترى ماذا ستظن بها صديقتها حينما تعلم بما قالت؟
كلا..إنها لن تخبر(مليحة) بأمر الخلاف مع زوجها، فلماذا تخاطر بفضح نفسها أمامهم؟
وبتلعثم سألت صديقتها وهي تصحبها إلى الداخل -"هل..هل تحادثا طويلاً حقاً؟"
مطت (مليحة) شفتيها الرقيقتين وهي تقول بلهجة الأخت الكبرى -"اجل تحادثا لما يقرب من نصف الساعة، و(باسم) كان حزيناً للغاية".
وبهدوء ربتت على كتف (سالي) وهي تتابع في حنان -"لو أنك تعتبرينني أختك هنا حقاً أخبريني..هل كنت تقصدين ما قلته ل(باسم)؟"
ازدردت لعاباً وهمياً وهي تسألها بتوتر -"و..وماذا قال (باسم)؟"
تناولت (مليحة) كفي (سالي) بين راحتيها وجلستا

متجاورتين وهي تقول بنفس الحنان -"حبيبتي... لقد كان (باسم) مجروحاً وبحاجة إلى صديق يفتح له قلبه، و(بشير) كان هذا الصديق. وفي الحقيقة أنا لا أتصورك تقولين مثل ما سمعت".

اغرورقت عينا (سالي) بالدموع وهي تقول بصوت مختنق -"نعم قلته، وأتمنى لو أنني مت أو قُطع لساني قبل أن أتلفظ به.. بل إنني لا أدري كيف طاوعني لساني على قوله. فأنا أحب (باسم) حقاً ويزداد احترامي له يوماً بعد يوم لأن كل ما يفعله يجبرك على احترامه".

ثم شردت ببصرها بعيداً وهي تتذكر جملة بعينها قالها (باسم) وتعيدها على مسامع صديقتها من بين دموعها ونشيجها -"قال لي (باسم) ذات مرة إن 'الحب الحقيقي لا أسباب له'، وأنا بالفعل أحبه دون سبب واضح. أحبه كإنسان بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى. فقد عرفت معه حقاً معنى الإخلاص والعطاء والتضحية. أتعلمين أنه ضحى بحلمه أن يكون أباً كي أنجح أنا في دراستي وعملي. منحني حبه وحنانه خالصين دون أن ينتظر مني شيئاً في المقابل، بل ودون أن يطالبني بمبادلته مشاعره. لقد كان راقياً معي لأبعد مدى، بينما كنت

أنا.. لا أدرِ بماذا اصف نفسي".
ربتت (مليحة) على كفها بتعاطف وهي تتنهد في عمق قائلة -"لماذا قلتِ ما قلته إذاً؟"
تزايد انهمار الدموع من عيني (سالي) وهي تجيبها هاتفة في حنق -"غبية..أنا غبية.. لقد أخطأت في حق (باسم) أكثر من مرة. أهملت شؤونه وشؤون بيتنا حتى نفذ صبره وانفجر غاضباً. وبدلاً من أن أعتذر عن تقصيري وأمتص غضبه، فقدت أعصابي وتفوهت بما تناسيته منذ زواجه منه".
احتضنتها (مليحة) في حنان لتهدئ من روعها بعدما لاحظت ارتجافتها الواضحة، وقالت بثقة -"هوني عليك يا حبيبتي.. الأزواج الجدد كثيراً ما يتشاجرون. المهم هو أن تبادري بالاعتذار".
كفكفت دموعها وهي تبتعد عن كتف صديقتها قائلة في سرعة -"أنا على أتم استعداد للاعتذار. المهم أين أجده؟ إنه لا يجيب اتصالاتي".
أضاء وجه (مليحة) بابتسامتها الصافية وهي تقول بحماس -"سيذهب (بشير) إليه اليوم. يمكنك الذهاب معه إذا أردت. (باسم) يقيم الآن لدى صديقه الانجليزي الذي قابلناه في

المباراة.. اسمه (مايك) على ما اعتقد".
تهللت أساريرها وهي تهب واقفة بلهفة -"نعم..نعم هو (مايك). كيف لم أفكر فيه من قبل؟ سأذهب الآن لتغيير ملابسي و...".
ضحكت (مليحة) وهي تجذبها لتعيدها إلى الأريكة قائلة -"رويدك يا صديقتي.. (بشير) مازال في عمله. سأخبرك متى تستعدين للذهاب معه".
ارتسم الإحباط على وجه (سالي) وهي تعود للجلوس قائلة -"يا الهي..سأنتظر حتى يعود (بشير) من عمله؟ وحده الله يعلم كيف سيمر الوقت علي إلى أن أراه".
ارتسمت ابتسامة جانبية على شفتي (مليحة) وهي تطمئن صديقتها قائلة -" لا تقلقي. سيمر سريعاً".
وجلست في انتظار أن يمر.

****

(٢٠)

هوت مطارق عنيفة على رأسه لتخرجه قسراً من سباته. فتح عينيه في ألم وحاول النهوض من الفراش بصعوبة وهو يتلفت حوله مستعيداً في ذهنه أحداث اليومين الماضيين اللذان قضاهما في منزل زميله الانجليزي (مايك) منذ غادر زوجته غاضباً.

كانت صدمته فيها عنيفة بشكل لم يتوقعه.

أبعد كل هذا الحب الذي يكنه لها تطعنه بتلك القسوة ال...

قاطع سيل أفكاره وذكرياته المريرة صوت طرق خفيض على باب الغرفة، وأتاه صوت (مايك) من الخارج يقول -"هل استيقظت (باسم)؟"

خرج صوته خافتاً ومحشرجاً وهو يجيبه -"تفضل (مايك)".

دلف (مايك) إلى الغرفة قائلاً بهدوء -"صباح الخير. كيف حالك اليوم؟"

ضغط جانبي جبهته في ألم وهو يجيب في خفوت -"صداع عنيف يكتنف رأسي.. ماذا أكلنا بالأمس؟"

ضحك (مايك) وهو يستند بكتفه إلى الباب قائلاً -"بل قل ماذا شربت.. لقد شربت زجاجتي بيرة وكنت في طريقك لشرب

المزيد لولا أن منعتك".

قفز من الفراش كمن لدغه عقرب هاتفاً -"ماذا؟ خمر؟ كيف حدث هذا؟"

هز (مايك) كتفيه في حيرة قائلاً -"لقد كنت غاضباً فأعطيتك زجاجة بيرة ولم أعتقد أنها قد تؤثر في وعيك. ثم أخذت أنت الزجاجة الثانية التي زادت الطين بلة حينما.. حينما وصلت زوجتك و...".

قاطعه في ثورة -"ماذا؟ زوجتي؟ هل أتت (سالي) إلى هنا؟"

مط (مايك) شفتيه وهو يجيبه بهدوء -"أوه..أنت لا تتذكر وجودها إذاً، ولن أعجب إذا أخبرتني أنك لا تتذكر ما فعلته معها أيضاً".

عاد يجلس على طرف الفراش يسأله في سرعة زادت من طرقات الألم التي تعصف برأسه -"ماذا فعلت معها؟ وكيف أتت وحدها من الأساس؟"

أجابه (مايك) بهدوئه الانجليزي قائلاً -"إنها لم تأت وحدها.. كان معها صديقك المغربي. ولقد أهنتها إهانة بالغة. لقد كنت قاسياً معها للغاية و..".

اتسعت عيناه في استنكار وهتف يقاطع صديقه في ذهول

-"أنا فعلت ذلك بها؟ كيف؟ وكيف لا أتذكره؟ هل كنت مخموراً إلى هذا الحد؟"

قلب (مايك) كفيه قائلاً -"يبدو أنك غير معتاد على تناول المنبهات بكثرة، لذا أثرت بك البيرة بهذه الدرجة. سأعد لك قدحاً كبيراً من القهوة المركزة ريثما تهاتف زوجتك لتعتذر لها عن إهانتك الفظيعة لها و...".

قاطعه للمرة الثالثة وهو يهب من جلسته قائلاً بلهجة سريعة -"هناك ما هو أهم من الاعتذار لزوجتي.. فما قلته لها ليس أفظع من شرب الخمر".

وفي سرعة استبدل ملابسه والتقط حقيبته الصغيرة وخرج ملوحاً لصديقه -"أراك في المعسكر".

****

(٢١)

انطلق بسيارته سريعاً ينهب طرقات لندن مثيراً عاصفة من رذاذ المطر المنهمر حول سيارته. لم يكن يشعر بمدى سرعته ولا بالطقس السيئ المحيط به ولا باستنكار المشاه الذين أغرقتهم مياه المطر التي بعثرتها إطارات سيارته المسرعة عليهم. فكل ما كان يشغل تفكيره وقتها هو تأنيب الضمير.

كان يفكر كيف ترتب خطأ على آخر حتى كانت النتيجة مخالفته لتعاليم دينه وأخلاقه واحتساؤه الخمر، أياً كانت المبررات.

وكأنما قاده ضميره إلى المركز الإسلامي الذي اعتاد الصلاة فيه. إذ وجد سيارته فجأة أمام المركز، فخرج من شروده وترك السيارة متجهاً إلى صديقه الشاب الذي لا تفارق الابتسامة محياه البشوش، وتمنحه مظهراً وقوراً مريحاً للنفس.

ابتدره الشيخ بالمصافحة قائلاً بعتاب الصديق -"أخي (باسم)... حمداً لله على سلامتك. أين كنت؟ لم نرك منذ يومين وافتقدناك اليوم في صلاة الجمعة".

ثم تابع بقلق من هيئة (باسم) المزرية -"ماذا بك يا أخي؟"

شعر بغصة تخنقه وخرج صوته محشرجاً وهو يجيب الشيخ مغمغماً -"لقد ارتكبت جُرماً فادحاً يا شيخ (حمزة).. لقد شربت خمراً وفقدت وعيي بل وأهنت زوجتي وأنا مخمور."

ارتفع حاجبا الشيخ (حمزة) في استنكار هو يهتف "أعوذ بالله.. كل هذا في يومين يا (باسم)؟ كيف يحدث هذا وأنت تصلي جميع الفروض هنا بانتظام؟ إنك أحد المسلمين الذين يجاهدون النوم والبرد ويأتون لصلاة الفجر تحت أي ظروف. كيف تضعف هكذا؟ ومن الشيطان الذي وسوس إليك بهذا"؟

اختنق صوته بالدموع وهو يجيب الشيخ الشاب بخفوت -"لقد كنت محبطاً ولم أتصور أن تفعل البيرة كل هذا. لقد أخطأت واعترفت بذنبي، ولا يهمني سوى التكفير عنه. ماذا افعل؟"

ربت الشيخ على كتفه بحنان اخوي وهو يقول بابتسامته الهادئة -"لا تخف يا أخي. فباب التوبة مفتوح دائماً، وسيتقبل الله منك إذا كانت توبتك حقيقية. هيا اصعد معي لتغتسل وتصلي وتدعو الله كي يغفر لك. ولا تنس قراءة سورة الكهف، فهي نور لما بين الجمعتين".

وتبعه (باسم) دون نقاش.

****

(٢٢)

ـ"ما هذا الهراء؟ ماذا أصابك (سالي) كي تقعي في مثل هذا الخطأ الشنيع؟ إن أصغر طلابي لا يجرؤ على ارتكابه".

هتف (بروفيسور أنجلز) بهذه العبارة في ثورة عارمة، ليحتقن وجهها بدماء الحرج والخجل أمام أستاذها وهو يتابع بحدة ـ"ماذا حدث لذكائك؟ لعزيمتك؟ ماذا حدث لك شخصياً؟؟" إجابته بصوت متحشرج ـ"اعتذر بروفيسور..لقد أتممت هذا البحث في سرعة ولم ...".

قاطعها في حدة ـ"ولم ماذا؟ لم تكونين في حالتك الطبيعية أثناء انجازه؟ تعلمين أنني قبلت الإشراف على رسالتك حينما رأيت اجتهادك الواضح، لكن ما أراه أمامي مختلف تماماً".

ثم زفر بقولة ليفرغ توتره قبل أن تهدأ لهجته ويقول بهدوء ـ"(سالي)..عندما نصحتك بأن تستمتعي بحياتك لم أقصد بذلك إهمال عملك، ولا أقصد الآن إهمال حياتك الشخصية. لكن ما أطلبه منك، بل وأنصحك به، هو ألا تسمحي لمشاكلك الشخصية في البيت بأن تطاردك إلى عملك. هل هذا صعب عليك؟ إذا كان صعباً في الوقت الحالي توقفي عن العمل لفترة إلى أن يكون بوسعك العمل من جديد بنفس درجة تركيزك

المعتادة".

ازدردت لعابها وازدردت معه كبرياءها الجريح وهي تقول لمشرفها بانكسار -"أعدك بألا يبدر مني هذا الخطأ ثانية... بإذنك".

فرت مع أوراقها للخارج وهي تشعر بالظلام يكتنفها والدموع تغشي عينيها. فللمرة الأولى تجد نفسها في مثل هذا الموقف المحرج بسبب تقصيرها في عملها الذي تعشقه. يبدو أن التقصير أصبح سمة تميزها في البيت والعمل و...

قطع أفكارها ارتطامها بشخص لم تلحظه إلا حينما هتف بها بالعربية وبلهجة مصرية خالصة -"(سالي)؟ لقد كنت أبحث عنك".

رفعت عينيها سريعاً إلى مصدر الصوت لتتهلل أساريرها ففي هذه اللحظة كان هذا الشخص هو من تحتاجه بشدة.

****

(٢٣)

في هذه اللحظة، كانت رؤية أي مصري كفيلة بدفع دموعها إلى التدفق.

لكن رؤيته هو بالذات جعلتها تشعر وكأنها كانت على وشك الغرق وجاء منقذها. لذا هتفت بلهفة حقيقية ــ"دكتور (عثمان)؟ يا إلهي. أنت بالضبط من أحتاجه الآن".

بدا القلق في صوته وهو يلمح شحوبها واضطرابها، فسألها ـ"ماذا بك يا ابنتي؟ لماذا تبدين هزيلة هكذا؟"

تمالكت نفسها وهي تحاول أن تجيبه بثبات كاذب ـ"إنها قصة طويلة. ويحي..نسيت تهنئتك بالحج وسلامة الوصول إلى هنا ولو أنني ..يا إلهي لابد وأن (بروفيسور أنجلز) دعاك لحضور المؤتمر الذي يرأسه و.".

قاطعها عاقداً حاجبيه وهو يدرك محاولتها الفاشلة للتماسك ـ"دعك من (أنجلز) والمؤتمر. هيئتك لا تطمئن ووجهك لا يبشر بالخير. كيف هي أبحاثك؟"

اكتسب صوتها رنة ساخرة وهي تقول ـ"أبحاثي؟ لا أنصحك بالسؤال عنها ولا بمحاولة معرفة رأي (بروفيسور أنجلز) بي الآن. فهو على الأرجح لا يطيق سماع اسمي".

ارتفع حاجباه في دهشة واستنكار للحظات قبل أن يقول لها في حزم -"خذيني إلى مكتبك الآن لأعرف ما حدث بالضبط، فلهجتك لا تريحني".

صحبته إلى استراحة الجامعة وجلست أمامه صامتة تحدق في أرضية المكان حتى بادرها باهتمام -"هيا اخبريني ماذا بك؟ هل لديك مشاكل أسرية؟"

أزاحت خصلة من شعرها خلف أذنها بارتباك وأجابته وهي تتحاشى النظر إلى عينيه -"إلى حد ما.. بل إلى حد كبير.. فأنا أتوقع قراءة آخر أخبار حياتي الزوجية في الصحف كل صباح".

عقد حاجبيه متسائلاً فاندفعت تقول في سرعة -"لقد ارتكبت أكبر حماقة في حياتي ودمرت زواجي بيدي. شيطاني جعلني أتفوه بما لم يخطر ببالي من قبل، ووجدتني فجأة أهتف في وجه زوجي بما سبق وقاله الدكتور (فكري) عن حقي الذي سلبه مني لاعبو كرة القدم، ومنهم (باسم) بالطبع. (باسم) الذي كان على أتم استعداد لبذل حياته من أجلي بطيب خاطر جرحته أنا بكلمة غبية لا اعرف كيف خرجت من فمي، وكيف استطعت جرحه هكذا".

هتف بها أستاذها بذهول -"(فكري)؟ هل صدقت كلام (فكري)؟ كلنا بالجامعة يدرك جيداً أنه معقد ويرى نفسه عبقرية لا تعوض. كيف اقتنعت بحديثه؟"

اختنق صوتها بالعبرات وهي تجيبه بخفوت -"لقد كنت محبطة وبدا كلامه منطقياً للغاية حينها، خاصة وأنه جاء بعد ما قلته سيادتك يومها وإن لاعبي كرة القدم والفنانين فقط يحظون باهتمام الجماهير والدولة. ربما أكون تأثرت قليلاً بقوله حينئذ، ولكنني محوته تماماً من عقلي بعدما جلست مع (باسم) وتعاملت معه عن قرب وعرفت جمال روحه وقلبه. صدقني يا دكتور (عثمان)..لقد أحببت (باسم) بصدق. وحينما ثرت عليه وقذفته بأقسى الكلمات كنت (سالي) أخرى. كنت تحت تأثير شيطان جعلني أتفوه بما ندمت عليه بعدها".

سألها في حيرة -"ما دمتِ معترفة بخطئك فلماذا لم تعتذري له فوراً؟"

لم تستطع كبح دموعها وتركتها تنساب على وجنتيها وهي تجيبه -"لقد أسرع بترك المنزل دون أن يسمع اعتذاري. وحينما عرفت أين هو ذهبت إليه عند صديقه الانجليزي الذي يستضيفه. يومها فوجئت بالوجه الآخر ل (باسم). لا يهمني

أنه أهانني أمام صديقه أو جارنا لأنني أستحق ذلك وأكثر، لكن ما يؤلمني أنه كان مخموراً بسببي. (باسم) الذي لا ترك فرضاً احتسى الخمر بسببي. أرأيت كيف دمرته بغبائي؟"

نهض ليتحرك بعيداً وهو يفكر في صمت، ثم ما لبث أن التفت إليها يسألها -"هل يعلم أي من أفراد أسرتيكما بما حدث؟"

هزت رأسها نفياً وهي تجيبه في سرعة -"بالطبع لا... فوالدي ووالده أصدقاء منذ زمن، و (باسم) صديق حميم لأخي (مهند) منذ الطفولة. إذا عرف والدي أو شقيقي بما فعلت..يا الهي.. لا يمكنني التفكير فيما قد يحدث حينها".

صمت العجوز للحظات قبل أن يسألها -" وأين (باسم)؟"

كفكفت دموعها بارتباك وهي تغمغم مجيبة -"جارنا (بشير) أخبرني أنه ترك بيت صديقه الانجليزي وسافر إلى ايرلندا مع زملائه في معسكر مغلق، والمفروض أن يكون اليوم في اسبانيا لأن لديهم مباراة هامة غداً".

هز رأسه متفهماً وقال بهدوء -"وبالطبع لا يمكنك السفر إلى اسبانيا في هذا الوقت القصير. في هذه الحالة لديك مهمة أخرى. سجلي له المباراة وابتاعي باقة زهور جميلة واذهبي إلى المطار لتستقبليه. من المؤكد أنه لن يكون مخموراً وقتها

ولن يجرؤ على إهانتك أمام كل هذه الجموع في المطار".
تهللت أساريرها ولمعت عيناها بحماس وهي تهتف بأستاذها
-"رائع يا دكتور.. هذا ما أحتاجه بالضبط. لقد كنت دوماً
بمثابة أبي الثاني. لا أدري كيف أشكرك".
ابتسم العجوز وأشار إلى قلبها قائلاً -"لا تشكريني ولا تفعلي
إلا ما يرشدك إليه قلبك. وإذا راودك شيطان (فكري) ثانية
واجهي نفسك بالحقيقة، وهي أنك زوجة (باسم) لأنك تحبينه.
ويوم ينتهي هذا الحب _لا قدر الله_ لابد وأن ينتهي زواجك
منه فوراً. هل تفهمينني؟"
اتسعت ابتسامة (سالي) وهي تجيبه في ثقة ـــ"بالطبع،
وبإذن الله لن ينته حب (باسم) من قلبي، وإلا فموتي أولاً".
ربت على كتفها بحنان أبوي قائلاً -"وفقك الله يا بنيتي. والآن
يجب أن أذهب لرؤية صديقي (أنجلز) قبل أن يعلم بوجودي
داخل الحرم الجامعي من أمن البوابة".
ضحكت في خفوت فأضاف بحنان -"ابقِ على اتصال معي
دوماً لأطمئن عليك".

****

(٢٤)

أحكم ربط رداء الحمام حول جسده المبلل، وانهمك في تجفيف شعره في سرعة قبل أن يلتفت لينظر إلى وجهه في المرآة المغطاة ببخار الماء. مسحها بطرف منشفته وتحسس لحيته النامية التي ضاعفت من ملامح الإجهاد على وجهه ومط شفتيه للحظات قبل أن يحسم أمره ويهذبها لتحيط بفمه فقط.

وقف يتطلع إلى وجهه ثانية في المرآة بتكاسل وهو يخاطب صورته المنعكسة قائلاً بتهكم ـ"ماذا تريد أكثر من ذلك؟ إنك لست (توم كروز)، كما أنك لست عريساً".

قالها وضحك ضحكة قصيرة ساخرة وهو يعاود تجفيف شعره بالمنشفة أثناء خروجه من الحمام الملحق بغرفته في الفندق بدوفر حتى صار أمام الفراش، وحينها رفع المنشفة على وجهه ليرى فجأة _أو هكذا بدا له_ باقة زهور طبيعية حمراء يتوسطها مظروف صغير التقطه في دهشة ليخرج منه بطاقة أنيقة كُتب فيها بخط أنثوي رقيق "مبروك الفوز".

عقد حاجبيه في حيرة سرعان ما تحولت إلى فزع لحظي حينما سمع صوتاً مألوفاً يأتي من خلفه يقول بنعومة افتقدها

ـ"حرب طروادة ثانية؟ لا أدرِ ما سر إعجابك بهذا الكتاب".
التفت في سرعة إلى مصدر الصوت ليتوقف مشدوهاً يتطلع إلى فاتنته التي وقفت أمامه في ثوب أبيض أنيق تنساب عليه بعض خصلات شعرها البني في نعومة، ونفس الخصلة المتمردة نافرة على جبهتها كالعادة. اختلجت دقات قلبه وهو يتأملها وطافت عيناه بشغف على ملامحها المبتسمة ليجد نفسه يبادلها الابتسام بتلقائية وهو يجيبها ـ"إنه يصور كيف قامت الحرب بين طروادة وإسبرطة وراح ضحيتها مئات الأبرياء بسبب تنافس رجلين على حب (هيلين) أميرة إسبرطة".
اقتربت منه في دلال وهي تلقي بنفسها في بحور عينيه هامسة في عذوبة ـ"لقد قامت الحرب لأن معتوهاً تصور أنه قادر على الفوز بقلب (هيلين) عبر نفوذه أو أمواله أو حتى وسامته. لكنه نسي أن (هيلين) مثل (سالي) لا يمكن شراء حبهن بالمال. فالحب عندنا للحبيب الأول".
ضعف أمام رقتها وأنوثتها التي بدت طاغية في عينيه، إلا أنه تماسك وهو يتنحنح قائلاً بثبات مصطنع ـ"كيف عرفتِ أنني هنا؟"

واصلت الاقتراب منه وهي تجيبه بنفس الدلال -"ذهبت للقائك في هيثرو لكنك لم تخرج برفقة زملائك. وحينما لمحت (مايك) سألته فأخبرني أنك ركبت طائرة خاصة من اسبانيا إلى دوفر مباشرة، وها أنذا. جئت لأهنئك بالفوز ولأعترف لك بأنني لم ولن أحب سواك. والأهم هو أن تقبل اعتذاري عن كل ما تفوهت به أمامك من غباء، وأن تصدق أنني ما تزوجتك سعياً لانتقام أو لكي استنزف أموالك".

توترت عضلة بجانب وجهه وهو يشعر بنبرة الصدق في صوتها ويراها تزدرد لعابها لتتابع -"اعترف أنني لم أكن أحبك في بداية زواجنا، ولكني لم أكن اعرف (باسم) الحقيقي. (باسم) الذي ما أن عرفته عن قرب حتى وقعت في غرامه حتى النخاع".

ارتبك من نعومة حديثها وهم بارتجال أي رد على مشاعرها تلك، إلا أنها سبقته بتغيير منحى الحوار بقولها -"بالمناسبة..لقد سجلت لك مباراة الأمس. لقد كنت رائعاً ومتألقاً كالمعتاد".

ثم مطت شفتيها وهي تداعب ياقة رداء الحمام هامسة بخفوت -" قدر سعادتي بتألقك، فقد أثار مخاوفي لأنني

شعرت بك تقذفني خلف ظهرك ولا تعبأ بي، وكأنك تجاوزتني. فهل كان ما شعرت به صحيحاً؟"

حركت كلماتها الصادقة مشاعره وأيقظت حبه الجارف لها، فأحاط وجهها بكفيه في حنان هامساً -"دعيني اعتذر عن إهانتي الفظيعة لك. حينما تشاجرنا كنا وحدنا، لكنني أهنتك أمام أصدقائي ولم أكن في وعيي، لذا تقبلي اعتذاري".

استكانت للمسته الدافئة وهي تغوص في صفاء عينيه قائلة بصدق -"لم تؤذني الإهانة مثلما قتلني الإحساس بأنني السبب في احتساءك للخمر. لن أسامح نفسي أبداً على ذلك".

لثم جبهتها بحب وداعب شعرها هامساً -"أنا أسامحك. ربما كانت كلماتك قاسية ولم أتوقعها، لكنها جعلتني أدرك أشياء لم ألحظها من قبل، ودعمت قراري الذي اتخذته بيقين".

أفزعها مغزى كلماته فأجفلت للحظة أضحكته وهو يسألها مبتسماً -"لماذا أجفلت هكذا؟"

لم تجبه واكتفت بالتطلع إليه بترقب كطفلة تنتظر العقاب من والدها، فتابع بابتسامة واسعة وهو يحتضن كفيها قائلاً -"اليوم، وقبل صعودي إلى الطائرة، وقفت أمام ممثلي أهم الصحف العالمية ووجهت رسالتي إلى جميع رياضيي مصر

المحترفين بالخارج لننشئ جمعية من أموالنا الخاصة نتبنى فيها أبحاث الشباب من ذوي المواهب العلمية الفذة حتى يحصلوا على أعلى الشهادات ويرفعوا اسم مصر عالياً".

حاولت جذب كفيها من راحتيه وهي تقول بضيق ارتسم واضحاً على ملامحها -"(باسم).. لا يوجد سبب يدفعك لفعل هذا.. ما قلته لك كان حديثاً غاضباً لا معنى له، ولا علاقة بينك أنت أو زملاؤك بالسياسة ولا ...".

وضع أنامله على شفتيها ليقاطعها هامساً بحب -"لقد فعلت ما رأيته صحيحاً. فبعيداً عن كوني لعبت في أندية مصرية أو لا، أنا مصري حتى النخاع وفخور بذلك، وفخور أيضاً بزوجتي التي تبذل كل ما بوسعها للوصول إلى سبق علمي من اجل بلادنا. ومادامت مصر تمتلك من القدرات البشرية ما يؤهلها للتفوق في جميع المجالات، فواجبي كمصري هو أن أساهم في هذا التفوق. أتضنين عليّ بهذا الشرف؟"

طفرت دموع التأثر من عينيها وهي تعانقه في سعادة وتهمس في أذنه -"أحبك يا (باسم). أحبك ونادمة على كل يوم قضيته بعيداً عن حبك. أحبك وأكره نفسي لأنها أخطأت يوماً في حقك".

مسد شعرها بحنان وهمس في أذنها بصدق -"إلا نفسك.. لن أسمح لك بكرهها لأنني أحبها. أنت حب عمري كله".

أبعدت رأسها عن كتفه لتلتقي أعينهما وهي تسأله بتوسل -"إذاً فقد سامحتني؟

شاكسها ضاحكاً -"أتريدين أن أقسم لك أنني سامحتك؟"

ضحكت بدورها وهي تخفي وجهها في صدره العريض، قبل أن ترفع عينيها إليه لتشير إلى لحيته الصغيرة قائلة بمرح -"شكلك يبدو أكثر وسامة في هذه اللحية، رغم أنها حجبت أجمل ابتسامة".

تحسس لحيته وشاربه الصغيرين وقال ضاحكاً -"كنت بحاجة إلى نيو لوك، وأعتقد أن هذه اللحية أرحم بكثير من حلق شعر رأسي".

شهقت بفزع مصطنع لتقول وهي تداعب خصلات شعره الرطبة -" يا إلهي. لا أتصورك يوماً دون شعرك. أرجوك لا تفعلها".

أضحكه أدائها التمثيلي للحظات قبل أن يصمت فجأة ويتأمل عينيها الضاحكتين ليدرك مدى افتقاده لها خلال الأيام الماضية.

عاد خافقه ينبض بقوة وكأنه يهتف باسمها ويطالب بعودتها إليه، فاستجاب لضجيج قلبه ومد يده ليعيدها إليه حينما هتفت به فجأة في قلق ـ"حبيبي.. إنك ما زلت في رداء الحمام. ارتد ملابسك كيلا تُصاب بالبرد".

ابتعد واضعاً كفيه في خاصرته يشاكسها ـ"وأين ملابسي؟"

أشارت بطرف عينها إلى ركن الغرفة قائلة بابتسامة واسعة ـ"ملابسك نظيفة ومرتبة داخل تلك الحقيبة. وطعام الغذاء كان بانتظارك في المنزل لكنك أتيت إلى هنا فاضطررت لوضعه في المبرد".

ثم ما لبثت أن وضعت كفيها في خاصرتها بدورها وهي تسأله بحنق مصطنع ـ"هلا أخبرتني لماذا أتيت من اسبانيا إلى هنا مباشرة؟"

التقط كفيها بين راحتيه ثانية وغاص في عينيها البنيتين هامساً ـ"جئت لأنتظرك في الغرفة التي شهدت أجمل أيامنا. جئت لثقتي في أن قلبك سيقودك إلى هنا".

همست بدورها ـ"قلبي سيقودني إليك أينما كنت لأنك حبيب عمري كله. حبيبي الذي تفقد حياتي معناها في غيابه".

قالتها ودفنت وجهها في صدره وتركته يحتويها بكل جوارحه

حتى ودت لو تظل بين ذراعيه هكذا حتى نـهاية العمر.

ومن أعماقها همست بصدق ـ"لقد أوحشتـني".

شاكسها كعادته وهو يريح وجنته على رأسها قائلاً ـ"أما أنـت فلم تفارقينـي لحظة".

انكمشت أكثر بين ذراعيه وهي تقول ـ"ولن أفارقك بعد الآن بـإذن الله، لـيس بعـد أن اكتشـفت حقيقـة مشـاعري..حقيقة حبك".

وكانت على حق.

تمت بحمد الله

الكاتبة

رباب فؤاد

مصرية

دراسات عليا في اللغة الانجليزية. كلية البنات جامعة عين شمس

قاصة وروائية

صدر عن هذه السلسلة:

١_ حقيقة حب	رباب فؤاد
٢_ ذات الوشاح الأخضر	رانيا حجاج
٣_ نصف ملاك	رباب فؤاد
٤_ حكاية سرية	عبير قائد